حَقيقَةُ الصُّوفيَّة !

عِنْدَ عُلَماء الأُمَّة المحَمَّديَة

وما في بَعْضِ كلامِهِمْ مِنَ الأُمُورِ المنْهَجيَّةِ

جمع وإعداد

أبي الحسين علي الرجباني

http://www.albaidha.net/vb

حَقِيقَةُ الصُّوفِيَّةِ!..

عِنْدَ عُلَمَاءِ الأُمَّةِ المحَمَّدِيَّةِ..

وما في بَعْضِ كلامِهِمْ مِنَ الأُمُورِ المنْهَجِيَّةِ

⋆ ⋆ ⋆

جمْعُ وإعدَادُ الفقِير إلى البَارِي

أبُي الحسين عليٌّ الرّجباني

-غفرَ اللّه لَهُ-

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُه

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾[1]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾[2]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾[3]

أَمَّا بَعْـدُ...

فإنَّ أصدقَ الحديثِ كلامُ اللهِ عزَّ وجلَّ، وخيرَ الهُدَى هُدَى محمّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النّارِ.

يا عبدَ اللهِ! منَ الفِرَقِ الّتي قدْ بايَنَتْ وجْهَ الرّشادِ، وحادتْ عن جادّةِ الحقِّ والصّوابِ، بلا شكٍّ ولا ارتيابٍ؛ هذه الفرقةُ الّتي ستقرأُ وسترى بأمِّ عينيكَ، ما قالَ فيها علمَاءُ الإسلامِ، وفقهاءُ الأمَّةِ، ممَّا لا يدعُ مجالاً للشّكِّ، عندَ كلِّ منْ أرادَ معرفةَ الحقِّ، أنَّها فرقةٌ مضتْ في طريقٍ غيرِ الطّريقِ الّذي سارَ عليْهِ النّبيُّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ!

ولـمَّا كانَ العلماءُ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وعِلْمُهُمْ موروثٌ عنْ نبيِّهِمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلَى آلِهِ وسَلَّمَ، رفضُوا هذهِ الفرقةَ، ونفضُوا أيديَهُمْ منها، ونبذُوهَا نبذَ النّواةِ، وحذَّرُوا منها أشدَّ التّحذيرِ! ولو كانتْ عَلَى الحقِّ، وسنَّةِ خيرِ الخلقِ؛ لـمَا حاربُوهَا!

---

[1]. [آل عمران: 102]

[2]. [النساء: 1]

[3]. [الأحزاب: 70، 71]

فهُمْ حمَلَةُ الحقِّ، وورثةُ علمِ سيِّدِ الخلقِ، وتلكَ الأعمالُ والأفعالُ الّتي عليْها أولئكَ القومُ المنتسبونَ إلى تلك الفرقَةِ، ليستْ من العلمِ الّذي ورثُوهُ، ولا منَ الحقِّ الّذي من تلكَ المشكاةِ عرفُوهُ!

ولتكونَ –أخي القارئ– على بيِّنةٍ من أقوالِ الرّاسخينَ في العلمِ، فقد جمعتُ من نفائسِهَا ما يسّرَ اللهُ لي؛ لتُدرِكَ مكنونَ تلكَ الفرقةِ؛ ونسفرَ عن الوجهِ الحقيقيِّ لهَا، من خلالِ هذا البحثِ الّذي سمّيْتهُ:

حَقِيقَةُ الصُّوفيَّةِ! عِنْدَ عُلمَّاءِ الأُمَّةِ المحَمَّدِيَّةِ وما في بَعْضِ كلامِهِمْ مِنَ الأُمُورِ المنْهَجِيَّةِ.

فانظُرْ إلى آثارِهِمْ، وتأمَّلْ كلامَهَمْ, وأقوالهَمْ! واعملْ بِهِ تربحْ وتفلحْ! وإلاَّ؛ فيا كسادَ التجارةِ! ويا بئسَتِ الخسارةُ!...

مُحْتَوى الرِّسَالةِ:

هذا، وقد أتيتُ على ذلكَ الفيضِ من الآثارِ والنّقولاتِ الحَكِيمةِ النّافعة؛ والتي هي كالبياضِ ناصعة، عبرَ ما اشتملَتْ عليهِ هذه الرّسالةُ من الفصولِ التّاليةِ:

أوّلاً: نبذةٌ عن التّصوّفِ (اشتقاقُهُ، تعريفُهُ، منشؤُهُ، مصدرُهُ، وأوّلُ من تَسَمّى بِهِ)

ثانيًا: علاقةُ التّصوّفِ بالتّشَيُّعِ!

ثالثًا: موقفُ المجتمعِ الإسلاميِّ في القرونِ الأولى من الصّوفيّةِ ومؤسّسيهَا

رابعًا: هلْ وَصْفُ (الفِرْقَة النّاجيَة) –الّتي أخبرَ عنْهَا النّبيُّ صَلَّى اللهُ عَليهِ وسلَّمَ– ينطبقُ عَلَى (الصّوفيّةِ)؟

خامسًا: السّمومُ الّتي أدْخَلَتْهَا الصّوفيّةُ عَلَى الإسلامِ وأهلهِ!

سادِسًا: كلامُ أعيانِ وعلمَاءِ المذاهبِ الأربعةِ وغيرِهِمْ في (الصّوفيّةِ)

سابعًا: السّادةُ المالكيّةُ الّذينَ حذَّرُوا مِنْ هذِهِ الفرقةِ!

ثامنًا: كلامُ علمَاءِ وفقهاءِ الشّافعيّةِ

تاسعًا: كلامُ علمَاءِ وفقهاءِ الحنابلةِ

عاشرًا: كلامُ علمَاءِ وفقهاءِ الحنفيّةِ

الحادي عشر: أقوالُ بعضِ المحقّقينَ من أهْلِ العلْمِ

الثاني عشر: الإجماعُ عَلَى ضلالِ هذِهِ الفرقَةِ!

الثالث عشر: حالُ الصّوفيّةِ معَ العِلْمِ الشَّرْعيِّ ومكانَتِهِ عندَهُمْ!

الرابع عشر: حكمُ قراءةِ كتبِ أهْلِ البدعِ كـ (الصّوفيّةِ) وغيرِهِمْ!

الخامس عشر: حكْمُ حَرْقِ وإتلافِ كتبِ أهْلِ البدعِ ومنْهَا كتبُ (الصّوفيّةِ)!

السادس عشر: الرَّدُّ عَلَى شبهةِ: الصّوفيّةُ يستدِلُّونَ بالقرآنِ والأحاديثِ عَلَى ما يفعلونَ!

السابع عشر: أسئلةٌ موجّهةٌ إلى كلِّ مبتدعٍ!

الثامن عشر: خاتمةٌ.

۞ ۞ ۞

وقدْ حانَ وقتُ الشّروعِ في المقصودِ من هذه الرسالة في تلكَ الفرقةِ وبيانِهَا، فأمعنِ النّظرَ فيها

وادْعُ اللهَ أن ينفعكَ بها، وأنْ يريَكَ الحقَّ حقًّا، ويجعلَكَ من أنصارِهِ

وأن يريَكَ الباطلَ باطلاً، ويجعلَكَ من مُحاربيهِ وأعدائِهِ

إنَّ ربّكَ لسميعُ الدّعاءِ!

واللهُ من وراءِ القصدِ، وهو حسبي ونعمَ الوكيلِ، ولا حولَ ولا قوّةَ إلاَّ بِهِ.

(1)

نبذةٌ عن التّصوّف

(اشتقاقهُ، تعريفهُ، منشؤهُ، مصدرهُ، وأوّلُ من تَسَمّى بِهِ)

أخِي القارئ الكريم! قبلَ ذكرِ كلامِ العلمَاءِ، أحببتُ أنْ أقدّمَ لكَ -رعاكَ اللهُ- نبذةً عنْ (الصّوفيّةِ)؛ كي يتبيّنَ لكَ -من خلالِهَا- أنَّ كلامَ العلمَاءِ فيها لا مبالغةَ فيهِ! ولا جورَ ولا ظلمَ يعتريهِ! بل إنَّهُ عينُ الصّوابِ، لا شكَّ فيهِ!

◈ اشتقاقُ مسمّى (الصّوفيّة):

"قبلَ أنْ نبحثَ في (التّصوّفِ) ونشأتِهِ وتاريخِهِ، نريدُ أنْ نذكرَ أصلَ اشتقاقِهِ:

منْ أينَ اشْتُقَّ؟ وكيفَ كانَ اشتقاقُهُ؟ واختلافُ الباحثينَ فيهِ، ومنَ الصّوفيّةِ أنفسِهِمْ -أيضًا-.

ولقدْ سُئِلَ الشّبليُّ: "لِمَ سُمِّيَتْ بهذا الاسمِ؟ فقالَ: هذا الاسمُ الّذي أُطلِقَ عليْهِمْ؛ اختُلِفَ في أصلِهِ، وفي مصدرِ اشتقاقِهِ".اهـ

ولايزالونَ مختلفينَ فيه حتّى اليومَ! فلقدْ نقلَ (الطّوسيُّ أبو نصرٍ السّرّاجُ)، في كتابِهِ -الّذي يُعَدُّ أقدمُ مرجعٍ صوفيٍّ- عن صوفيٍّ أنَّهُ قالَ:

"كانَ في الأصلِ: (صَفَوِيٌّ), فاستُثْقِلَ ذلكَ؛ فقيلَ: (صوفيٌّ)، وبمثلِ ذلكَ نُقِلَ عن أبي الحسنِ الكناد: هو مأخوذٌ منَ الصّفاءِ".اهـ

ويَنقُلُ الكلاباذيُّ -أبو بكرٍ محمّدٌ الصّوفيُّ المشهورُ- عن الصّوفيّةِ أقوالاً عديدةً في أصلِ هذِهِ الكلمةِ واشتقاقِهَا, فقالَ:

"قالتْ طائفةٌ: إنما سُمِّيَتْ الصّوفيّةُ (صوفيّةٌ)؛ لصفاءِ أسرارِهَا! ونقاءِ آثارِهَا!".

وقالَ بشرُ بنُ الحارثِ: "الصّوفيُّ: مَنْ صَفَتْ للهِ معاملتُهُ؛ فصفَتْ له مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ كرامتُهُ". اهـ

وقالَ قومٌ: إنّما سُمُّوا (صوفيّةٌ) لأنَّهُمْ في الصَّفِّ الأوّلِ بينَ يدَي اللهِ عَزَّ وجلَّ؛ بارتفاعِ هممِهِمْ إليهِ, وإقبالِهِمْ عليْهِ, ووقوفِهِمْ بسائرِهِمْ بينَ يديْهِ!.

وقالَ قومٌ: إنّما سُمُّوا (صوفيّةٌ) لقربِ أوصافِهِمْ من أوصافِ (أهلِ الصُّفَّةِ), الّذينَ كانُوا عَلَى عهدِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلَّمَ.

وقالَ قومٌ: إنّما سُمُّوا (صوفيّةٌ) لِلِبْسِهِمُ الصّوفَ!

قالَ أبو الفتحِ البستيُّ -رَحِمَهُ اللهُ-:

" تنازَعَ النـاسُ في الصوفيِّ واختلَفوا وظَنَّهُ البعضُ مشتقًّا مِنَ الصّوفِ
ولسْتُ أمنحُ هذا الاسـمَ غيرَ فتىً صَافَى فصُوفِيَ حتّى سُمِّيَ الصّوفِي"

◈ تعْرِيفُ التّصَوُّفِ:

لا يقلُّ اختلافُ الصّوفيّةِ في (تعريفِ التّصوّفِ) عنِ اختلافِهِمْ في (أصلِهِ واشتقاقِهِ)؛ بلِ ازْدَادُوا تعارضًا وتناقضًا -فيهِ- كثيرًا!

ولقدْ ذكرَ صوفيٌّ فارسيٌّ (قطبُ الدّينِ أبو المظفّرِ منصورُ بنُ أردشير السّنجيّ المروزيّ) -المتوفَّى سنةَ (491 هـ)- أكثرَ من عشرينَ تعريفًا!

وأمّا القشيريُّ فلقدْ ذكرَ في رسالتِهِ أكثرَ من خمسينَ تعريفًا من الصّوفيّةِ المتقدّمينَ!

وقالَ السّهرورديُّ: "وأقوالُ المشائخِ في ماهيّةِ التّصوّفِ تزيدُ عَلَى ألفِ قولٍ"!.

وقالَ الحامديُّ: "الأقوالُ المأثورةُ في التّصوّفِ قيلَ أنّهُا: زهاءُ ألفينَ"!

◈ بعضُ تعريفات (التّصوّف):

سُئِلَ الجنيدُ عن التّصَوّفِ, فقالَ: "أنْ تكونَ معَ اللهِ تعالى بلا علاقةٍ"!

وقالَ سمنونُ -في جوابِ سائلٍ سألَهُ-: "أنْ لا تملكَ شيئًا، ولا يملِكُكَ شيءٌ".

وقيلَ لأبي الحسينِ أحمدَ بنِ محمّدٍ النّوريِّ:

"منِ الصّوفيُّ؟ فقالَ: مَنْ سمعَ السّماعَ، وآثرَ بالأسبابِ".

ويَنْقلُ القشيريُّ عن الجنيدِ أنّهُ قالَ: "التّصوّفُ عقدةٌ لا صلْحَ فيها".

وأيضًا: "همْ أهلُ بيتٍ واحدٍ، لا يدخلُ فيه غيرُهُمْ"!

وعنْ أبي حمزةَ البغداديِّ أنَّهُ قالَ:

"علامةُ الصّوفيِّ الصّادقِ: أنْ يفتقرَ بعدَ الغنَى, ويذلَّ بعدَ العزِّ, ويخفَى بعدَ الشّهرةِ".

وعنِ الشّبليِّ أنَّهُ قالَ: "التّصوّفُ برقةٌ محرقةٌ"!

ونقَلَ محمّدُ بنُ إبراهيمَ النفزيُّ الرّنديُّ عنْ أحدِ الصّوفيّةِ أنَّ: "الصّوفيّ: منْ كانَ دمُهُ هدرًا, وملكُهُ مباحًا"!

وذكرَ السّلميُّ عن أبي محمّدٍ المرتعشِ النّيسابوريِّ، أنَّهُ سُئِلَ عن التّصوّفِ, فقال: "الإشكالُ والتّلبيسُ والكتمانُ"!

ونقلَ الكلاباذيُّ وعبدُ السّلامِ الأسمرِ الفيتوريّ عن الجنيدِ أنّهُ سُئِلَ عن التّصوّفِ, فقالَ: "تصفيةُ القلبِ من موافقةِ البريّةِ, ومفارقةُ الأخلاقِ الطّبيعيّةِ, وإخمادُ الصّفاتِ البشريّةِ, ومجانبةُ الدّواعِي النّفسانيّةِ, ومنازلةُ الصّفاتِ الرّوحانيّةِ, والتّعلُّقِ بالعلومِ الحقيقيّةِ"! .

وذُكِرَ عنْ سهْلِ بنِ عبدِ اللهِ التّستريِّ أنَّهُ سألَهُ رجلٌ: "مَنْ أصْحَبُ من طوائفِ النّاسِ؟ فقالَ: عليكَ بالصّوفيّةِ! فإنَّهُمْ لا يستكثرونَ, ولا يستنكرونَ شيئًا, ولكلِّ فعلٍ عندهُمْ تأويلٌ, فهُمْ يعذرونَكَ عَلَى كلِّ حالٍ"!

◈ منشأ التّصَوُّفِ:

"إنَّ النَّاسَ اختلفُوا في بدْءِ ظهورِ هذهِ الكلمةِ واستعمالهَا؛ كاختلافِهِمْ في أصلِهِ وتعريفِهِ"!

فمتى ظهرتْ هذهِ التّسميةُ، وهذه الفِرقَةُ؟ ومنْ أوّلُ من أُطْلقَتْ عليْهِ؟

أيُّهَا الأخُ الكريمُ! من خلالِ ما سترَى من جوابٍ لهذا السّؤالِ؛ ستعرفُ أنَّ هذهِ الفِرْقَةَ كانتْ بعدَ أنْ لم تكُنْ! وأنَّ مؤسّسيْهَا مِنْ أفْسَدِ النّاسِ عقيدةً ومنهجًا!

فالجوابُ:

"وردَ لفظُ (الصّوفيّ) لأوّلِ مرةٍ في التّاريخِ في النّصْفِ الثّاني من القرنِ الثّامنِ الميلاديِّ؛ أيْ: في القرنِ الثّاني الهجريِّ؛ إذْ نُعِتَ به:

– جابرُ بنُ حيّانَ (ت 198هـ), وهوَ صاحبُ كيمياء شيعيٌّ! من أهلِ الكوفةِ.

– وأبو هاشمٍ الكوفيُّ الصّوفيُّ المشهورُ.

أمّا صيغةُ الجمعِ: (الصّوفيّةُ) الّتي ظهرتْ عامَ (189هـ-814م) في خَبَرِ فتنةٍ قامتْ بالإسكندريّة؛ فكانتْ تدلُّ -قرابةَ ذلكَ العهدِ- عَلَى مذهبٍ من مذاهبِ التّصوّفِ الإسلاميِّ يكادُ يكونُ شيعيًّا! نشأَ في الكوفةِ, وكانَ (عَبْدك) الصّوفيُّ آخرَ أئمّتِهِ, وهوَ من القائلينَ بأنَّ الإمامةَ بالإرثِ والتّعيينِ! وكانَ لا يأكلُ اللّحمَ، وتوفِّيَ ببغدادَ، حوالَي عام (210هـ)". اهـ

"قالَ الهمذانيُّ: "ولم يكنِ السّالكونَ لطرقِ اللهِ في الأعصارِ السّالفةِ، والقرونِ الأولى يُعرفونَ باسمِ (المتصوّفةِ), وإنّما (الصّوفيُّ) لفظٌ اشْتُهِرَ في القرنِ الثّالثِ, وأوّلُ من سُمِّيَ ببغدادَ بهذا الاسمِ: (عَبْدك الصوفيُّ)". اهـ

"ذكرَ ابنُ تيميةَ –وسبقَهُ: ابنُ الجوزيُّ، وابنُ خلدونَ المالكيُّ في هذا– أنَّ لفظَ (الصّوفيّةِ) لم يكنْ مشهورًا في القرونِ الثّلاثةِ الأولى؛ وإنّما اشْتُهِرَ التَّكَلُّمَ بِهِ بعدَ ذلكَ ". اهـ

"فخلاصةُ الكلامِ: أنَّ الجميعَ متّفقونَ عَلَى حداثةِ هذا الاسمِ! وعدمِ وجودِهِ في عهدِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، وأصحابِهِ، والسّلفِ الصّالحينَ".اهـ

وأوّلُ من سُمِّيَ بِهِ: جابرُ بنُ حيانَ، وأبو هاشمٍ الكوفيِّ، وعَبْدَك عبدُ الكريمِ، الصّوفيِّ.

"والجديرُ بالذِّكْرِ: أنَّ هؤلاءِ الثّلاثةَ –الّذينَ يُقالُ عنهُمْ بأنَّهُمْ أوّل من سُمُّوا بهذا الاسمِ, وتلقّبُوا بهذا اللَّقَبِ– مطعونونَ في مذاهبِهِمْ وعقائدِهِمْ! ورُمِيَ كلُّ واحدٍ منهُمْ بالفسقِ والفجورِ، وحتّى الزّندقة!".اهـ

واعلَمْ! –وفّقكَ اللهُ لمَا يحبُّ ويرضَى– أنَّ هؤلاءِ الثّلاثةَ –الّذينَ اشْتُهِرُوا في التّاريخِ الإسلاميِّ من أنَّهُمْ أوّل منْ لُقِّبَ باسمِ (الصّوفيّ)– كانَ اثنانِ منهُمْ منَ (الشّيعةِ)! كمَا أنَّ هؤلاءِ الثّلاثةَ كلُّهُمْ كانُوا منْ موطنِ (الشّيعةِ) آنذاكَ! وهوَ (الكوفةُ)، وكلُّهُمْ عَلَى عقيدةٍ فاسدةٍ!

- فـ (أبُو هاشمٍ الكوفيُّ) كانَ متَّهَمًا بالزّندقة والدَّهْرِيَّةِ!
- وأمّا (جابرُ بنُ حيّانَ) فكانَ رافضيًّا ساحرًا!
- و(عبدك الصّوفيُّ) كانَ رأسًا في الزّندقةِ!

وكذلكَ: ممّنِ اشْتُهِرَ في التّاريخِ من أنَّهُ من واضِعِي (التّصوّفِ):

- ذو النّونِ المصريُّ، وكانَ –أيضًا– متَّهَمًا بالزّندقةِ، والاشتغالِ بالسّحرِ والطّلسماتِ! كما نَقَلَ الإمامُ (الذّهبيُّ) عن يوسفَ بنِ أحمدَ البغداديِّ أنَّهُ قالَ: "كانَ أهلُ ناحيتِهِ يُسمّونَهُ بالزّنديقِ!".

ونُقِلَ –أيضًا– عن السّلميِّ أنَّهُ قالَ: "ذو النّونِ أوّلُ من تكلَّمَ ببلدتِهِ في ترتيبِ الأحوالِ, ومقاماتِ الأولياءِ! فأنكرَ عليْهِ عبدُ اللهِ بنُ عبدِ الحكَمِ, وهجرَهُ علمَاءُ مصرَ.

وشاعَ أنَّهُ أحدثَ عِلْمًا لم يتكلَّمْ فيه السّلفُ, وهجرُوهُ، حتَّى رَمَوهُ بالزّندقةِ!".اهـ[1]

---

[1] – انظر: (التّصوّف المنشأ والمصادر)، لإحسان إلهي ظهير.

(2)

علاقةُ التّصوّفِ بالتّشَيُّعِ!

اعلَمْ! –أرشدكَ اللهُ لطاعتِهِ– أنَّهُ من خلالِ معرفتِكَ بمؤسِّسِي هذهِ الطّائفةِ؛ ستعرفُ جيِّدًا – بتوفيقِ اللهِ– مدَى العلاقةِ بينَ (الصّوفيّةِ) و(الشّيعةِ)! فهُمَا وجهانِ لعملةٍ واحدةٍ! كما قالَ بعضُ أهلِ العلمِ.

ولابنِ خلدونَ المالكيِّ –رَحِمَهُ اللهُ- كلامًا طويلاً في بيانِ هذِهِ الفرقَةِ وعقائدِهَا، وذكرَ أنَّ لهُمْ علاقةً بالشّيعةِ ومشابهةً لهم!...إلخ.[1]

وقد مرَّ معكَ أنَّ من مؤسِّسِي التّصوّفِ، وأئمّتِهِ، وأوّلِ من لُقِّبَ بِهِ كانُوا من (الشّيعةِ)!

ومع أنَّهُ معَ مرورِ الزَّمنِ أصبحَ لكلِّ فرقةٍ منهُمْ كيانٌ ومنهجٌ تسيرُ عليْهِ؛ إلاَّ أنَّهُ إذا قارنْتَ بين عقائدِ وعباداتِ الفرقتينِ؛ وجدتَ شبَهًا عظيمًا! وإلَيْكَ بيانُ شيءٍ من ذلكَ:

1) التّوافقُ في كثيرٍ من العقائدِ المنحرفةِ!

فـ (الصّوفيّةُ) يعتقدونَ أنَّ الأولياءَ يتصرَّفونَ في الكونِ! ويعلمونَ الغيبَ! ويُسْتَشْفَعُ بِهِمْ إلى اللهِ! ويُسْتَغَاثُ بِهِمْ عندَ الشّدائدِ والكربِ!

و(الشّيعةُ) يعتقدونَ مثلَ ذلكَ في أئمّتِهِمْ!

فالخلافُ بينهُمَا لفظيٌّ: هؤلاءِ عندَهُمْ: (الوليُّ، القطبُ، الغوثُ)!

وهؤلاءِ عندَهُمْ: (الأبدالُ، الأوصياءُ، الأئمّةُ)!

2) اعتقادُهُمْ في الأمواتِ!

فكلٌّ منهُمَا يغالِي في مُعظِّميهِ الموتَى! فترى عندَ قبورِهِمْ من المخالفاتِ الشّرعيّةِ ما يندَى له الجبينُ!

3) تشييدُ القبابِ عَلَى القبورِ وبناءِ المساجدِ عليْها!

وهذا من أشهرِ الأمورِ عندَ (الفرقتينِ)! مع أنَّ النّبيَّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ– لعنَ فاعلَ ذلكَ! وأجمعَ أئمّةُ الإسلامِ عَلَى حرمتِهَا.[2]

---

[1] – انظرْ: (مقدمة ابن خلدون).

[2] – قلتُ: أبو الحسين علي الرّجباني: ولنا بحثٌ فيه نقلٌ لكلامِ العلمَاء في هذه المسألة، تحت عنوان: (القولُ الحقُّ المبينُ في حكمِ القبابِ والمساجدِ التي بُنيتْ على قبور المسلمينَ). وهو منشورٌ على الشّبكةِ.

4) مخالفتُهُمْ للصّحَابَةِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ-!

فالشّيعةُ يصرِّحُونَ بذلكَ بلسانِ مقالهِمْ، ولسانِ حالهِمْ!

والصّوفيّةُ يخالفونَهُمْ بلسانِ حالهِمْ ظاهرًا وباطنًا! في عقيدتهِمْ وعبادتهِمْ وأعمالهِمْ! وإن كانُوا يقولونَ بألسنتِهِمْ خلافَ ذلكَ!

5) الزّهدُ في سُننِ المصطفَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آلِهِ وسَلَّمَ!

فهيَ خصلةٌ مشتركةٌ عندَ الطّائفتينِ؛ بل ومحاربتُهُمْ لها ولمن يطبِّقُهَا!

وخذْ مثالاً عَلَى ذلكَ: (اللّحية)؛ فما هو حالهُمْ معهَا، ومعَ منْ يتحلَّى ويتقرَّبُ الى اللهِ بها؟

6) القصائدُ والأناشيدُ: من أبرزِ الشّعائرِ عندَ الفرقتينِ! -وسيأتيك كلامُ الشّافعيِّ وأحمدَ فيها-.

7) أسانيدُ الطّرقِ الصّوفيّةِ كلُّها -ما عدا النّادرَ منها- فيها أسماءُ أئمّةِ الشّيعةِ المعصومينَ!

-حسبَ زعمهِمْ من أولادِ عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ-.

(3)

موقفُ المجتمعِ الإسلاميِّ في القرونِ الأولى من (الصّوفيّةِ) ومؤسِّسيهَا

لمَّا كانتِ (الصّوفيّةُ) عَلَى تلكَ الحالةِ من المخالفةِ لشرْعِ اللهِ! كانَ من الطّبيعيِّ جدًّا أن يجدَ معتنقيهَا ودعاتَهَا إنكارًا من المسلمينَ عليْهِمْ، وخصوصًا في القرونِ الأولى الّتي شهدَ لها النّبيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- بالخيريّةِ!

وهذا نقلٌ لموقفِ المجتمعِ الإسلاميِّ من الصّوفيّةِ، بشهادةِ الصّوفيّةِ أنفسِهِمْ، ومن كتبِهِمْ:

فقدْ نقلَ الصّوفيُّ (عبدُ الوهّابِ الشّعرانيُّ) في كتابِهِ "طبقات الأولياء" هذا الموقفَ الاستنكاريَّ الشّديدَ عَلَى ساداتِ ومشاهيرِ المتصوّفة -بحجّةِ أنَّ أولياءَ اللهِ لابدَّ من أن يعاديهِمُ النّاس!-:

- "نُقِلَ عن (أبي يزيدٍ البسطاميِّ) أنَّهُمْ نفوهُ من بلدِهِ سبعَ مرّاتٍ.
- وكذلكَ وقعَ (لذي النّونِ المصريِّ)؛ أنَّهُمْ وشَوا بِهِ إلى بعضِ الحكّامِ، وحملُوهُ من مصرَ إلى بغدادَ مغلولاً مقيّدًا! ويضيفُ في "اليواقيت والجواهر": سافرَ معَهُ أهلُ مصرَ يشهدونَ عليْهِ بالزّندقة.

- وكذلكَ وقعَ أنَّهُمْ رمَوْا (أبا سعيدٍ الخرّاز)، وأفتى العلمَاءُ بتكفيرِهِ.
- وأخرَجُوا (سهلَ بنَ عبدِ اللهِ) من بلدِهِ (تستر) إلى البصرةَ، ونسبُوهُ إلى قبائحَ، وكفَّروهُ.
- وقُتِلَ (حسينٌ الحلاّج) ...

"ووقعَ الاختلافُ: أهوَ الّذي صُلبَ أمْ رُفِعَ! كما وقعَ في عيسى عليْهِ الصّلاةُ والسّلامُ".

- وشهدُوا عَلَى (الجنيدِ) حينَ كان يقرِّرُ في علمِ التوحيدِ، ثمّ أنَّهُ تستَّرَ بالفقْهِ...

"ويقولُ صاحبُ "اللّمع": فكمْ من مرّةٍ قدْ طُلِبَ وأُخِذَ، وشهدوا عليْهِ بالكفرِ والزّندقةِ".

- وعقدُوا للشّيخِ (عبدِ اللهِ بنِ أبي جمرةَ) مجلسًا في الرَّدِّ عليْهِ، فلزمَ بيتَهُ، فلمْ يخرجْ إلاَّ للجمعةِ، حتّى ماتَ.
- وشهدُوا عَلَى (السّبكيِّ) بالكفرِ، مرارًا...
- وقالَ أهلُ المغربِ عَلَى الإمامِ (أبي بكرٍ النابلسيِّ)، فأخرجُوهُ من المغربِ مقيَّدًا إلى مصرَ، وشهدُوا عليْهِ عندَ السّلطانِ، فأُخِذَ وسُلِخَ وهوَ حيٌّ، أو قُتِلَ ثمَّ سُلِخَ.
- وأخرجُوا الشّيخَ (أبا مدينَ المغربيَّ) من بجاية –ماتَ وهوَ في طريقِهِ إلى القتْلِ–.
- وأخرجُوا (أبا القاسمَ النّصراباذيَّ) من البصرةِ، وأنكرُوا عليْهِ.
- وشهدُوا عَلَى (أبي الحسنِ الحصريِّ) بالكفرِ.
- وتكلَّمُوا في (ابنِ سمنونَ) وغيرِهِ بالكلامِ الفاحشِ، حتّى ماتَ، فلمْ يحضُرُوا لَهُ جنازةً.
- وتكلَّمُوا في الإمامِ (أبي القاسمِ بنِ جميلٍ) بالعظائمِ إلى أنْ ماتَ.
- وأفتَوا بتكفيرِ الإمامِ (الغزاليِّ) وأحرقُوا كتابَهُ (الإحياء)، وكانَ من جملةِ من أنكرَ عَلَى (الغزاليِّ) وأفتَى بتحريقِ كتابِهِ: (القاضِي عياضٌ) و(ابنُ رشدٍ).
- وأخرجُوا (أبا الحسنِ الشّاذليَّ) من بلاد المغرب بجماعتِهِ، ثمَّ كاتبُوا نائبَ الإسكندريّةِ بأنَّهُ سَيَقْدُمُ عليكُمْ مغربيٌّ زنديقٌ!
- ورمَوا الشّيخَ (أحمدَ بنَ الرّفاعيِّ) بالزّندقةِ والإلحادِ.
- وقتلُوا الإمامَ (أبا القاسمِ بنَ قسي).
- وقتلُوا (ابنَ برّجان) –شيخُ ابنِ عربيٍّ أو شيخُ شيخِهِ– والخوليَّ، والمرجانيَّ، فشهدُوا عليْهِمْ بالكفرِ.

- وأمَّا الشّيخُ (مُحْيِي الدّينِ بنُ عربيٍّ) وسيّدِي (عمرُ بنُ الفارضِ) فلمْ يزَلِ المنكرونَ يُنكِرُونَ عليْهِمَا إلى وقتِنَا هذا.
- وأنكرُوا عَلَى الشّيخِ (عبدِ الحقِّ بنِ سبعينَ)، وأخرجُوهُ من بلادِ المغربِ، وأرسلُوا نجابًا بدرجٍ مكتوبٍ أمامَهُ يحذِّرونَ أهلَ مصرَ منْهُ.

وممّا أوردَهُ الشّعرانيُّ –أيضًا– في نفسِ "طبقاتِهِ" متفرِّقًا في تراجمِهِ للمذكورينَ:

- (أبو نعيمٍ الأصفهانيِّ)، أخرجَهُ أهلُ أصفهانَ، ومنعُوهُ من الجلوسِ في الجامعِ.
- (عبدُ السّلامِ بن مشيش)، شيخُ (أبي الحسنِ الشّاذليّ)، قُتِلَ في بلادِ المغرب.
- (محمّدٌ الرّويجل العريان)، قتلَهُ العثمانيّونَ حينَ دخولِ مصرَ.
- (أبو العباسِ أحمدَ الملثّم) كفَّرُوه.
- (أبو الفتحِ الواسطيِّ) كانَ مبتلًى بالإنكارِ عليْهِ، ماتَ في الإسكندريّة، حوالي سنةَ (580هـ).
- (عبدُ اللهِ بنُ محمّدٍ العرشيُّ المرجانيُّ)، امتُحِنَ وأفتى العلماءُ بتكفيرِهِ، قُتِلَ في تونسَ سنةَ (669هـ).
- (محمّدٌ القونويُّ صدْرُ الدِّينِ) –صاحبُ ابنِ عربيٍّ وابنُ زوجتِهِ– كانَ مبتلًى بالإنكارِ عليْهِ، ماتَ في قونية سنةَ (672هـ).

وممَّا أورده الشعراني –أيضًا– في "اليواقيت والجواهر":

- وشهدُوا عَلَى (الشّبليِّ) بالكفْرِ مرارًا.

وممَّا لم يذكرْهُ الشّعرانيُّ، وذكرَهُ صاحبُ "اللّمع":

- "(أبو حمزةَ الصّوفيُّ): كفَّرُوه.

ويقولُ ابنُ الجوزيُّ في كتابِهِ "تلبيس إبليس": "أنَّهُمْ قتلُوهُ ونادَوا عَلَى فرسِهِ: هذا فرسُ الزّنديقِ".

- (محمّدٌ بنُ موسى الفرغانيُّ): لأهلِ التّعنّتِ فيهِ مقالٌ.
- (أبو الحسينِ النّوريُّ): شهدُوا عليْهِ بالكفْرِ"[1]

---

[1] - هذا ممّا أوردَهُ أبو نصْرٍ الطّوسيُّ في كتابِهِ (اللّمع) في ترجمتِهِ للمذكورينَ.

- (وعديُّ بنُ مسافرٍ)، شيخُ (الطّريقةِ العدويّةِ)؛ الّتي هيَ الآن: (اليزيديّةُ)، نُبِشَ قبرُهُ وأحرقَ ما فيْهِ مرّتينِ، مرّةً سنةَ (652هـ) عَلَى يدِ أميرِ الموصلِ، ومرّةً سنةَ (817هـ) عَلَى يدِ جماعاتٍ كبيرةٍ منَ الأكرادِ.
- و(أبو حيانَ التوحيديُّ)، نُفِيَ لسُوءِ عقيدتِهِ، وكانَ من شيرازَ، وهو شيخُ الصّوفيّةِ.
- و(شهابُ الدّينِ السّهرورديُّ) المقتولُ.
- (يحيي بنُ حبشٍ) قُتِلَ في حلبَ عَلَى الزّندقةِ، سنةَ (587هـ).
- و(عبدُ القادرِ الجيلانيُّ)، يقولُ المؤرِّخونَ: إنَّ الوزيرَ (عبيدَ اللهِ بنَ يونسَ) أخربَ بيتَهُ، وشَتَّتَ أولادَهُ، ويُقالُ: أنَّهُ بَعَثَ في اللّيلِ من نبشَ عليْهِ (في قبرِهِ)، ورمَى بعظامِهِ في اللُّجَّةِ!
- (لسانُ الدِّينِ بنِ الخطيبِ) -وزيرُ غرناطةَ- قُتِلَ عَلَى الزّندقةِ؛ بسببِ كتابِهِ في التّصوّفِ: "روضة التّعريف"، سنةَ (776هـ).

فتأمَّلْ! -وفَّقكَ اللهُ لمرضاتِهِ- في تلكَ الشّهاداتِ الّتي نُقِلَتْ إِلَيْكَ من كتبِ الصّوفيّةِ أنفسِهِمْ! في موقفِ المسلمينَ وعلمَائِهِمْ من مشاهيرِ الصّوفيّةِ، والمعظَّمينَ عندَهُمْ؛ حيثُ شهدُوا عَلَى أكثرِهِمْ بالكفْرِ والزّندقةِ -عياذًا باللهِ!-، وما ذلكَ إلاَّ لشدَّةِ بُعْدِ القَوْمِ عمَّا جاءَ بِهِ محمّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ.

(4)
هلْ وَصفُ (الفِرْقَة النّاجية) -الّتي أخبرَ عنْهَا النّبيُّ صَلَّى اللّهُ عليهِ وسلّمَ- ينطبقُ عَلَى (الصّوفيّةِ)؟

والسّؤالُ الّذي يطرَحُ نفسَهُ:

هلْ وصفُ (الفِرْقَة النّاجيَة)، (الطّائفة المنْصُورة)؛ الّتي أخبَرَ عنْهَا النّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ ، ينطبقُ عَلَى (الصّوفيّةِ)؟

الجوابُ: لا!

وبيانُ ذلكَ فيمَا يلِي:

أخبرَ النّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ -فيمَا صحَّ عنْهُ-:

أنَّ هذِهِ الأمّةَ ستختلِفُ، وأنَّ الخلافَ سيكونُ فيهَا كثيرًا!

وأنَّهَا ستفترقُ في عقائدِهَا، ومنهجِهَا افتراقًا كبيرًا!

وأنَّ الضّلالَ سيجتاحُ الكثيرَ من أبنائِهَا؛ إلاَّ أنَّ هناكَ طائفة من أمَّتِهِ ستنجُو من ذلكَ التّفرُّقِ والضّلالِ والاختلافِ، وهيَ لا تزالُ عَلَى الحقِّ منصورةً إلى قيامِ السّاعةِ!

وبيَّنَ -لنَا- صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليْهِ: سبيلَ النّجاةِ منْ ذلكَ الخلافِ والتّفرُّقِ والضّلالِ، بيانًا لا مزيدَ عليْهِ! فمِنْ ذلكَ:

قولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلَى آلِهِ وسَلَّمَ: ((تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ))[1]

وقولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: ((تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي، ولَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الحَوْضَ))[2]

وأمرَنَا بالعملِ بكتابِ اللهِ وسنَّتِهِ عليْهِ الصّلاةُ والسّلامُ، عَلَى فهْمِ صحابتِهِ رضوانُ اللهِ عليْهِمْ، الّذين هُمْ أعلمُ النّاسُ بِهِمَا.

وبيَّنَ -لنَا- أنَّهُ لا يُؤخَذُ الدِّينُ إلاَّ عنْهُمْ، ولا يعملُ بِهِ إلاَّ بفهمِهِمْ، وأنَّ من خالفَ ذلكَ فهُوَ متوعَّدٌ بالنَّارِ! حيثُ قالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: ((وَإِنَّ أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ، إِلَّا وَاحِدَةً))، فسُئِلَ عنْها: ما هيَ يا رسولَ اللهِ؟ فقالَ: ((الْجَمَاعَةُ))[3]

وفي روايةٍ: ((مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي)).

وقالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ في موعظةٍ بليغةٍ، ووصيّةٍ جامعةٍ من حديث العرباضِ:

"صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ فَقَالَ ((أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى

---

[1] - (سلسلة الأحاديث الصحيحة)، (937).

[2] - صححه الألباني في (منزلة السّنّة).

[3] - انظر: الحديث (203 و204) في (سلسلة الأحاديث الصحيحة).

اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ))[1]

ولقدْ فَهِمَ مَنْ شَرَّفَهُمُ اللهُ بصحبَةِ نبيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ ذلكَ جيِّدًا؛ فهذَا (حذيفةُ بنُ اليمانِ)، -صاحبُ السِّرِّ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- يقولُ:

"كلُّ عِبادَةٍ لَا يَتَعَبَّدُهَا أَصْحابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، فَلَا تَعَبَّدُوهَا؛ فإِنَّ الأوَّلَ لمْ يَدَعْ للْآخِرِ مقَالاً".[2]

وقالَ ابنُ مسعودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: "اتَّبِعُوا ولا تَبْتَدِعُوا؛ فَقَدْ كُفِيتُمْ".[3]

والسّؤالُ -هنا-: هل الصّوفيّةُ عَلَى ما كانَ عليْهِ النّبيُّ وأصحابُهُ في عقيدتِهِمْ وعباداتِهِمْ؟

أمْ هناكَ فرْقٌ شاسِعٌ وبونٌ واسِعٌ بينهُمَا ؟

الجوابُ باختصارٍ:

(الصّوفيّةُ) مِنْ أبعدِ النَّاسِ عَنْ وصفِ (الطَّائفةِ النَّاجيةِ) السّائرةِ عَلَى طريقِ الصّحابةِ!

وقدْ مرَّ معكَ -أخي القارئ- أنَّهَا لمْ تكنْ معروفةً في عهْدِهِمْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ!

أمَّا الجوابُ مفصَّلاً؛ فستعرِفُهُ -أيُّهَا الأخُ الكريمُ- مِنْ خلالِ متابعتِكِ لهذَا البحثِ -بإذنِ اللهِ-.

(5)

السّمومُ الّتي أدْخلَتْهَا الصّوفيّةُ علَى الإسلامِ وأهلِهِ!

اعلَمْ! -رعاكَ اللهُ- أنَّكَ إذَا تَأَمَّلْتَ وقَلَّبْتَ نَظَرَكَ في تاريخِ الأمّةِ الإسلاميّةِ، فستقفُ -يقينًا- عَلَى أنَّ (الصّوفيّةَ) هيَ مَنْ أَدْخَلَتْ الكثيرَ مِنَ (السُّمومِ) الّتي تضرُّ بالقلوبِ والأبدانِ، في أمّةِ محمّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ؛ فأفسدُوا بذلكَ: العقلَ والدّينَ والمالَ، بلْ والعِرْضَ! وكلُّهَا من الضّروريّاتِ الّتي جاءَ الإسلامُ بحفظِهَا.

وفيما يلي توضيحٌ لتلكَ السُّمومِ!

[1] - انظر: الحديث (2735)، في (سلسلة الأحاديث الصحيحة).

[2] - انظر: (الباعث على إنكار البدع والحوادث) لأبي شامة -رَحِمَهُ اللهُ- (16/1).

[3] - رواه أحمد في (الزهد)، (134/1).

⊙ **السُّمُّ الأوّلُ: السِّحْرُ!**

فهُمْ منْ أدخلَ (السِّحرَ) في المسلمينَ، ونشَرَهُ بينهُم!

وانظُرْ إلى كلامِ الإمامِ المالكيِّ (عبدِ الرَّحمنِ بنِ محمّدٍ بنِ خلدونَ) وهو يبيِّنُ ذلكَ في كتابِهِ المعروفِ (مقدّمة ابن خلدون) حيثُ قالَ:

"هذَا العِلْمُ -السِّحْرُ- حدَثَ في الملّةِ بعْدَ صدْرٍ منها، وعندَ ظهورِ الغلاةِ منَ المتصوّفةِ: (الحلاّج ابن عربيّ)، (العفيف التلمسانين ابن سبعين)، (ابن الفارض)، وجنوحِهِمْ إلى كشفِ حجابِ الحسِّ، وظهورِ الخوارقِ عَلَى أيديهِمْ، والتّصرّفاتِ في عالمِ العناصرِ!".اهـ[1]

رَحِمَ اللهُ (ابنَ خلدونَ) رحمةً واسعةً؛ فإنَّنا في هذا الزّمانِ، وفي هذِهِ الأيّامِ وقفْنَا عَلَى البراهينِ القاطعةِ، والحججِ الدّامغةِ الّتي لا تجعلُ أحدًا يشُكُّ فيما قالَهُ (ابنُ خلدونَ)؛ من أنَّهُمْ هُمْ مَنْ أدْخَلَ (السِّحْرَ) في الأمّةِ، ونشرُوهُ فيها؛ حيثُ لا يكادُ ضريحٌ ولا زاويةٌ صوفيّةٌ يدخلُهَا (أهلُ التّوحيدِ والسُّنَةِ) لإزالةِ المنكرِ الّذي بها؛ إلاَّ ويجدونها مليئةً بالسِّحْرِ! ومعَ هذا فلمْ نسمعْ من (دعاةِ فقهِ الواقعِ والغيرةِ عَلَى البلادِ والعبادِ)!!!! إنكارًا لهذا المنكرِ (السِّحْرِ)! ولو ببنتِ شفةٍ!!! فأكثرُهُمْ في غفلةٍ معرضونَ! فإنَّا للهِ وإنَّا إليْهِ راجعونَ.

⊙ **السُّمُّ الثّاني: الحشيش!**

هذا الّذي ابتُلِيَتِ بِهِ الأمَّةُ من قِبَلِهِم؛ أعني: (الصّوفيّة)، والّذي دَوَّنَ التّاريخُ أنَّهُم هُمْ مَنْ أدْخلَهُ للبلادِ الإسلاميّةِ! بلْ ولَهُم أشعارٌ في مدْحِهِ وتحليلِهِ للنّاسِ! فالرّواياتُ التّاريخيّةُ كلُّهَا تدورُ حولَهُم! فمنها:

أنَّ (الحشيشَ) دخلَ لبلادِ الإسلامِ في القرنِ الثّاني الهجريِّ؛ عَنْ طريقِ (رجلٍ من الهندِ)، أخذَهَا عنه رجالٌ من أصحابِ (الطّريقةِ القلندريّةِ)!

وقيلَ أدخلَهُا الشّيخُ الصّوفيُّ (حيدر) المتوفّى سنة (618هـ) في القرنِ السّادسِ الهجريِّ، وزرَعَهَا، وجعلَهَا وقفًا عَلَى أصحابِهِ من المتصوّفةِ من أهلِ (خراسانَ)! وأوصَى بها أنْ تُزْرَعَ عَلَى قبرِهِ، بعدَ وفاتِهِ! وبعدَهُ انتقَلَتْ إلى سائرِ البلدانِ من (الشّامِ ومصرَ) وغيرِهَا!

ولَهَا -عندَهُمْ- عدّةُ أسماءَ؛ منها:

---

[1] - (مقدّمة ابن خلدون).

1- حشيشةُ الفقراءِ.

2- مدامةُ حيدر.

3- القلندريّة.

ومن أشعارِهِمْ في (مدحِ الحشيشِ)! قولُ شاعرِهِمْ (محمّدِ بنِ عليٍّ الأعْمَى) مبيِّنًا أنَّهَا حلالٌ عندَهُ! بلْ ولَهَا محاسنُ:

دَعِ الْخَمْرَ وَاشْرَبْ مِنْ مُدَامَةِ حَيْدَر ... مُعَنْبَرَةٌ خَضْرَاءَ مِثْلِ الزَّبَرْجَدِ
يُعاطيكَهَا ظَبْيٌ مِن التُّرْكِ أَغيدُ ... يَمِيسُ عَلَى غُصْنٍ مِنْ أَلبانِ أملدِ
فَتَحْبِسُهَا فِي كَفِّهِ إِذْ يُدِيرُهَا ... كَرَقْمِ عِذَارٍ فَوْقَ خَدٍّ مُوَرَّدِ
يُرَنِّحُهَا أَدْنى نَسِيمٍ تَنَسَّمَتْ ... فَتَهْفُو إِلَى بَرْدِ النَّسِيمِ المـرَدَّدِ
وَتَشْدُو عَلَى أغصانِهَا الْوُرْقُ فِي الضُّحَى ... فَيُطْرِبُهَا سَجْعُ الْحَمَامِ الْمُغَرِّدِ
هِيَ الْبِكْرُ لَمْ تُنْكَحْ بِمَاءِ سَحابَةٍ ... وَلَا عُصِرَتْ يَوْمًا بِرِجْلٍ وَلَا يَدِ
وَلَا عَبَثَ الْقِسِّيسُ يَوْمًا بكأْسِهَا ... وَلَا قَرَّبُوا مِنْ دَنِّهَا كُلَّ مُقْعَدِ
وَلَا نَصَّ فِي تَحْرِيمِهَا عِنْدَ مَالِكٍ ... وَلَا [هِيَ] عِنْدَ الشافعيِّ وأحمدِ
وَلَا أَثْبَتَ النُّعمانُ تَنْجِيسَ عَيْنِهَا ... فَخُذْهَا بِحَدِّ الْمشْرِفِيِّ الْمُهَنَّدِ
وكُفَّ أكُفَّ الْهَمِّ بالكيفِ وَاسْتَرِحْ ... وَلَا تَطْرُحَنَّ يَوْمَ السُّرورِ إِلَى غَدِ!

⊙ **السُّمُّ الثّالث: الاختلاطُ بينَ الرِّجالِ والنِّساءِ!**

السُّمُّ الثّالثُ الّذي أدْخَلَتْهُ (الصّوفيّةُ) عَلَى الإسلامِ: (الاختلاطُ بينَ الرِّجالِ والنِّساءِ) والّذي كانَ محرَّمًا حتّى في الشّرائعِ السّابقةِ!

والآياتُ والأحاديثُ الّتي جاءتْ في التّحذيرِ من (فتنةِ النّساءِ) أكثرَ من أنْ تُذكرَ! ومعَ ذلكَ اختلطُوا مع النّساءِ!

وكانَ (الاختلاطُ) أوّلَ الأمرِ في مجالسِ الذِّكْرِ والمدحِ الّتي عُرِفُوا بها!! ثمَّ بعدَ ذلكَ اتّسعَ الأمْرُ عندَهُمْ إلى المخالطةِ والمصافحةِ؛ حتّى اشتُهِرُوا بذلكَ، وهذا الأمرُ ظاهرٌ مشاهَدٌ في زواياهُمْ، ومراكزِ تحفيظِهِمْ للقرآنِ، واحتفالاتِهِمْ، وموالدِهِمْ، بلْ هُمْ من دعاةِ الاختلاطِ؛ إلا ما ندَرَ منهُمْ!

وما سمعنَا أحدًا منهُمْ يحاربُ هذِهِ الظاهرةَ إلى يومِنَا هذا! بل رأيناهُمْ حتّى في تدريسِهِمْ للقرآنِ؛ لا يتورَّعُونَ في هذا الأمرِ، فضلاً عنِ الرّحلاتِ معَ النّساءِ هُنَا وهناكَ! واللهُ المستعانُ.

وأمَّا نشرُ أعظمِ السّمومِ وأخطرِهَا (الشّرْك والبِدْعة)؛ فحدِّثْ ولا حرجَ!

ولا يخفَى ذلكَ إلاَّ عَلَى مَنْ جهِلَ حقيقةَ (التّوحيدِ) الّذي خلَقَ اللهُ النّاسَ لأجْلِهِ!

(5)

كلامُ أعيانِ وعلماءِ المذاهبِ الأربعةِ وغيرهِمْ في (الصّوفيّةِ)

كلامُ الأئمّةِ في (الصّوفيّةِ)، وذكرُ ما فيهِ من الفوائدِ (المنهجيّةِ):

◆ **ما وردَ عن إمامِ دارِ الهجرةِ: (مالكِ بنِ أنسٍ) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:**

– فقدْ سُئِلَ الإمامُ مالكٌ –رَحِمَهُ اللهُ– عنهُمْ، حيثُ قالَ لَهُ "رجلٌ من أهلِ نصيبينَ: يا أبَا عبدِ اللهِ! عندنَا قومٌ يُقالُ لَهُمُ (الصّوفيّةُ) يأكلونَ كثيرًا، ثمَّ يأخذونَ في القصائدِ، ثم يقومونَ فيرقصونَ!

فقالَ الإمامُ مالكٌ لَهُ: هُمْ مجانين؟ فقالَ: لا.

فقالَ لَهُ: هـمْ صبيانٌ؟ فقالَ الرَّجُلُ: لا؛ هُمْ مشائخُ عقلاء!

فقالَ مالكٌ: ما سمعنَا أحدًا منْ أهلِ الإسلامِ يفعلُ هذا!".اهـ[1]

– وقالَ مالكٌ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– مبيِّنًا أنَّ (الصّوفيّةَ) عَلَى ضلالٍ مبينٍ– كلمةً عظيمةً تجعلُ كلَّ صوفيٍّ يريدُ الحقَّ فوقعَ في خلافِهِ؛ أنْ يتركَ (الصّوفيّةَ) فورًا! ويتبرَّأَ منهُمْ؛ فقدْ قالَ -ؓ- فيمَا نقَلَ عَنْهُ الإمامُ (ابنُ الجوزيِّ)[2] أنَّ:

"عبدَ اللهِ بنَ زيادٍ النّصيبيَّ قالَ: كنَّا عندَ الإمامِ مالكِ بنِ أنسٍ، فذكرتُ لَهُ صوفيِّينَ من بلادِنَا، يلبسونَ فواخرَ الثِّيابِ، ويفعلونَ كذا...، فقالَ لِي: ويحكَ! ومسلمينَ هُمْ؟!". اهـ

[1] – كما في كتاب: (ترتيب المدارك وتقريب المسالك في ذكر فقهاء مذهب مالك)، للقاضي عياض المالكيّ، المتوفَّ (544 هـ).

[2] – في كتابه: (تلبيس إبليس).

فرحمَ اللهُ مالكًا؛ ما أعلمَهُ وما أرسخَهُ في العلمِ! فإنَّ المُشَاهِدَ لحالِ أولئكَ القومِ؛ يرى حقًّا أنَّ أكثرَ أفعالِهِمْ ليستْ من أفعالِ (أهلِ الإسلامِ) في شيءٍ! فما هيَ إلاَّ أفعالُ (أهلِ الشّرْكِ والكفرِ والبِدَعِ):

كالسِّحْرِ، والشَّعوذةِ، ودعاءِ الأمواتِ، وادّعاءِ علمِ الغيبِ و... إلى آخرِ أفعالِهِمُ القبيحةِ الّتي لا تمتُّ إلى (الإسلامِ) بصلةٍ!

◆ **ما جاءَ عَنْ تلاميذِ الإمامِ مالكٍ رَحِمَهُ اللهُ:**

فها هوَ الإمامُ (الشافعيُّ) رَحِمَهُ اللهُ –تلميذُ الإمامِ مالكٍ وصاحبُ المذهبِ المعروفِ– قدْ أكثرَ مِنْ ذمِّهِمْ؛ حتّى أنَّهُ أَطْلَقَ عَلَى بعضِهِمْ اسمَ (الزّنادقةِ)! فيا ليتَ شعري! ما حُجَّةُ أولئكَ المتصوّفةِ الّذينَ يزعمونَ أنَّهُمْ عَلَى مذهبِ هؤلاءِ السّادةِ (مالكٍ والشافعيِّ وأحمدَ) وغيرِهِمْ، وهمْ يسمعونَ هذِهِ الكلماتِ من هؤلاءِ الأئمّةِ؟!

فمنْ أقوالِهِ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– فيهِمْ:[1]

1) قالَ: "لو أنَّ رجلاً تصوَّفَ من أوَّلِ النَّهارِ، لم يأتِ عليْهِ الظُّهْرُ إلاَّ وجدتَهُ أحمَقَ"!

2) وقالَ: "ما رأيتُ صوفيًّا عاقلاً قطُّ؛ إلاَّ (مسلمُ الخواص)"!

3) وقالَ أيضًا –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–: "ما لزمَ أحدٌ الصّوفيّينَ أربعينَ يومًا، فعادَ عقلُهُ أبدًا"!

وأنشدَ الشّافعيُّ –رَحِمَهُ اللهُ–:

ودَعُوا الّذينَ إذا أَتَوْكَ تنسَّكُوا　　　وإذا خَلَوْا كانُوا ذئابَ حِقَافِ!

4) وقالَ الشّافعيُّ –رَحِمَهُ اللهُ–:

"لا يكونُ الصّوفيُّ صوفيًّا حتّى تكونَ فيهِ أربعُ خصالٍ: كسولٌ، أكولٌ، نؤومٌ، كثيرُ الفضولِ!"[2]

5) وقالَ الشّافعيُّ –فيما روَى عنْهُ (الخلاّلُ) في "السّنّة" عنهُ– مبيِّنًا ما أحدثَتْهُ الصّوفيّةُ من التّطريبِ في العبادةِ:

"تَرَكْتُ فِي الْعِرَاقِ شَيْئًا يُقَالُ لَهُ التَّغْبِيرُ أَحْدَثَهُ الزَّنَادِقَةُ، يَصُدُّونَ بِهِ النَّاسَ عَنِ الْقُرْآنِ".[3]

---

[1] – كما جاءَ في كتابِ: (مناقب الشافعي)، للإمامِ البيهقيِّ –رَحِمَهُ اللهُ–.

[2] – انظر المصدر السّابق.

[3] – رواه أبو بكرٍ الخلاّل في: (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، (72/1).

6) ونقلَ الإمامُ (الخطّابيُّ) في كتابِهِ "العزلة" عنْ (عليٍّ بنِ يحيى الورّاق)، قالَ:

كانَ (الشّافعيُّ) رجلاً عَطِرًا، وكانَ غلامُهُ يجيءُ في كلِّ غداةٍ –أيْ في كلِّ صباحٍ– إلى المكانِ الّذي يجلسُ فيه (الشّافعيُّ)، فيمسحُهُ، وكانَ إلى جانبِهِ إنسانٌ من (الصّوفيّةِ) يُسمِّي الشّافعيَّ: (البطّالُ)! يقولُ: "هذا البطّالُ"! فلمَّا كانَ ذاتَ يوم عَمِدَ –أي الصّوفيُّ– إلى شاربِهِ فجعلَ فيه قَذَرًا ثمَّ جاءَ إلى حلقةِ (الشّافعيِّ)، فشمَّ (الشّافعيُّ) هذِهِ الرائحةَ الكريهةَ، فقالَ للجالسينَ:

"فتِّشُوا نعالَكُمْ"! ففعلُوا، ثمَّ قالَ لَهُمْ: "فليفتِّشْ بعضُكُمْ بعضًا"! فوجدُوا الرَّجلَ، فقالُوا لَهُ:

"ما حملَكَ عَلَى هذا؟"، فقالَ للشّافعيِّ: "رأيتُ تجبُّرَكَ، فأردتُ أن أتواضعَ للهِ عَزَّ وجلَّ"!

فأمرَ بِهِ (الشّافعيُّ) أن يُحبَسَ حتّى يُكمِلَ درْسَهُ، ثمَّ أعادَهُ، فضربَهُ ثلاثينَ، أو أربعينَ درَّةً! قالَ: "هذا لأنّكَ دخلتَ المسجدَ بالقذرةِ، وصلَّيتَ عَلَى غيرِ طهارةٍ".

أيُّهَا الأخُ المسلمُ! في هذِهِ القصةِ –الّتي ذكرَهَا الخطّابيُّ– فوائدُ وحقائقُ يعلمُهَا كلُّ من خالطَ القومَ أو قرأَ عنهُمْ، أذكرُ منها:

1– عدمُ اهتمامِهِمْ بالعلمِ وطلبِهِ!

2– طعنُهُمْ في علمَاءِ السُّنّةِ، وأهلِ السُّنّةِ! وهذِهِ من أشهرِ علاماتِ (أهلِ البدعِ)!

وهذا الإمامُ (الشّافعيُّ) الّذي كانَ (الصّوفيُّ) يسمِّيهِ بـ (البطّال)! قالَ عنه البيهقيُّ:

"وكانَ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– شديدًا عَلَى أهلِ الإلحادِ، وأهلِ البدعِ، مجاهرًا ببغضِهِمْ وهجرِهِمْ". اهـ[1]

وقالَ أبو حاتمٍ –أيضًا–: "وعلامةُ أهلِ البدعِ: الوقيعةُ في أهلِ الأثرِ"![2]

وقالَ الإمامُ (أبو عثمانَ الصابونيُّ):

"وعلاماتُ البدعِ عَلَى أهلِهَا باديةٌ ظاهرةٌ، وأظهرُ آياتِهِمْ وعلاماتِهِمْ: شدَّةُ معاداتِهِمْ لحملَةِ أخبارِ النّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، واحتقارِهِمْ واستخفافِهِمْ بِهِمْ!" اهـ[3]

3– عدمُ اهتمامِهِمْ بنظافةِ أنفسِهِمْ! وهذا ليسَ عَلَى إطلاقِهِ، ولكنْ يظهرُ في بعضِ من يزعمُ منهُمْ أنَّهُ (وليٌّ وشيخُ طريقةٍ)!

---

1 – (مناقب الشّافعيّ).

2 – من كتاب: (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة)، للالّكائيّ.

3 – (عقيدة السّلف أصحاب أهل الحديث).

4- إذا كانَ أوائلهُمْ قالُوا في الإمامِ الشّافعيِّ: (البطّال)! فلا تعجبْ من قولِ المتأخّرينَ في مَنْ سارَ عَلَى طريقِ الإمامِ (الشّافعيِّ)، وغيرِهِ من السَّلفِ الصَّالِحِ، فهُمْ أهلُ نبزٍ ولمزٍ في حَمَلَةِ أخبارِ وآثارِ النّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ! وهذا لا يخفَى عَلَى كلِّ عاقلٍ!

الإمامُ (يحيى بن يحيى)، تلميذُ الإمامِ مالكٍ رَحِمَهُ اللهُ، قالَ:

"الخوارجُ أحبُّ إليَّ من الصّوفيّةِ"![1]

فانظرْ! -رحمكَ اللهُ- إلى قولِ هَذَا الإمامِ والإمامِ الّذي قبلَهُ من تلاميذِ (الإمامِ مالكٍ) وما قالُوهُ في هؤلاءِ القومِ، وإلى من ينادِي بأعَلَى صوتِهِ -اليومَ- بأنَّهُ مالكيٌّ! وأنَّ هؤلاءِ الّذين يُحْيُونَ السُّنّةَ، ويحاربونَ البدعةَ والمبتدعةَ -كالصّوفيّةِ وأفعالِهِمْ-: (وهابيّةٌ)! و(جاؤُوا بدينٍ جديدٍ)!

فإذا كانَتِ (الصّوفيّةُ) عندَ هذا الإمامِ أشرَّ من (الخوارجِ) -وهمْ كذلكَ-، مع ما جاءَ عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ في وصفِ (الخوارجِ) بأنَّهُمْ: ((كِلابُ النَّارِ))[2]

وأنَّهُمْ ((شَرُّ الخَلْقِ والخليقةِ))!

وأنَّهُ عليْهِ الصّلاةُ والسّلامُ، نَهَى عنْ تمنّي لقاءِ الكفَّارِ وقتالِهِمْ كمَا في حديثِ عبدِ اللهِ بنِ أبي أوْفَى في "الصّحيحينِ"، وتمنّي لقاءَ الخوارجِ، وقتْلِهُمْ؛ حيثُ قالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ:

((لَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ؛ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ))[3]

وكيفَ يكونُ حالُ وجوابُ من ينتمِي إلى هذِهِ الفرقَةِ، ويدافعُ عنْهَا مع انتسابِهِ لمذهبِ أولئكَ الأعلامِ؟! فاعتبرُوا يا أولي الأبصارِ!

(مروانُ بنُ محمّدٍ بنِ حسّانَ الأسد): تلميذُ مالكٍ بنِ أنسٍ، قالَ:

"ثلاثةٌ لا يُؤْتمنونَ في دينٍ: الصّوفيُّ، والقصّاصُ، والمبتدعُ الّذي يَرُدُّ عَلَى صاحبِ البدعةِ".[4]

نعمْ! فهؤلاءِ (الصّوفيّةُ) لا يُؤتمنونَ عَلَى دينٍ، ولا عَلَى دُنيَا -أيضًا-[5]!

---

[1] - انظر: (تلبيس إبليس)، لابن الجوزيّ.

[2] - رواه ابن ماجه وغيره، وصححه الألباني.

[3] - رواه البخاريّ ومسلم وغيرهما.

[4] - انظر: (ترتيب المدارك وتقريب المسالك)، للقاضي: عياض.

[5] - كمَا سيأتي ذكرُهُ من كلامِ (ابنِ عقيلِ الحنبليِّ) وغيرِهِ.

فهُمُ الّذينَ أفسدُوا العقائدَ الصّحيحةَ، ونشرُوا خلافَهَا، وعلَّقُوا قلوب العبادِ بالعبادِ! بدَلَ أنْ تتعلَّقَ بربِّ العبادِ، وإلى اللهِ المشتكَى!

◆ **ما جاءَ عَنِ الإمامِ أحمدَ –رَحِمَهُ اللهُ–:**

أمَّا الإمامُ (أحمدُ بنُ حنبلَ) رَحِمَهُ اللهُ؛ فقدْ أكثرَ من ذمِّهِمْ والتَّحذيرِ منهُمْ، ومِنْ حَمَلَةِ وَرُؤُوسِ هَذَا المذهبِ، ومن أفعالِهِمْ وعباداتِهِمْ الّتي عُرِفُوا بها مِنْ قديمِ الزّمانِ!

1) فقدْ سُئِلَ –رَحِمَهُ اللهُ– عنِ (الصّوفيّةِ) وأناشيدِهِمْ ومدائحِهِمْ الّتي لا يخلُو ذكْرٌ من أذكارِهِمْ ولا موالدِهِمْ منها، فقالَ –رَحِمَهُ اللهُ–:

"بِدْعةٌ، لا يُجالَسُونَ"! وذلكَ عندمَا سألَهُ (عبدُ الرّحمنِ المتطيّبُ):

"ما تقولُ في أهلِ القصائدِ؟"، فقالَ "بِدْعَةٌ، لا يُجالَسُونَ"! رواهُ الخلاَّلُ في "مسائله".

وفي روايةٍ أخرَى عنْهُ؛ أنَّهُ قال لَهُ: "إذَا رأيتَ أحدَهُمْ يمشِي في طريقٍ، فَخُذْ في طَرِيقٍ أُخْرَى".

2) وقالَ أحمدُ بنُ حنبلَ –أيضًا– فيهِمْ بأنَّهُم أكذبُ النّاسِ! كمَا ذكرَ ذلكَ عنْهُ الإمام الطّرطوشيّ المالكيّ في "الحوادثِ والبدع"، قالَ: "أكذبُ النَّاسِ: القُصَّاصُ والسُّؤالُ".[1]

3) وحذَّرَ –رَحِمَهُ اللهُ– من رأسِهِمْ؛ ألاَ وهوَ: (الحارث المحاسبي)؛ وهوَ رمزٌ من رموزِهِمْ، وكتبُهُ عندَهُمْ من أفضلِ الكتبِ!

قالَ أحمدُ: "احذَرُوا من الحارثِ المحاسبيِّ أشدَّ التّحذير؛ الحارثُ أصلُ البلبلةِ!".

وهذا (الحارثُ) كانَ يتكلَّمُ في الوساوسِ والخطراتِ! وما أكثرَ هذا الأمرَ عندَهُمْ: "شعرتُ وأحسستُ، ورأيتُ في المنامِ! وحدَّثَنِي قلبِي عن ربِّي"! وغيرهَا من الأشياءِ الّتي دينُ الصّوفيّةِ –أو أكثرُ دينِهِمْ– مبنيٌّ عليْها!

قالَ أحمدُ في "الوساوسِ والخطراتِ": "وهلْ تكلَّمَ فيها الصّحابةُ والتابعونَ؟!".

4) وقالَ أحمدُ في الصّوفيّةِ، وأناشيدِهِمْ، وأذكارِهِمْ – كمَا روَى عنْهُ الخلاَّلُ في "مسائلِهِ" ما يقولُ في قومٍ يُغَبِّرون بذكرِ اللهِ؟ –أي: يهلِّلُونَ ويردِّدُونَ الصَّوتَ بالذِّكْرِ– فقالَ أحمدُ: "بدعةٌ"! وقالَ: "ما يُغَبِّرُ إلاَّ فاسقٌ"!

---

[1] – وهو في (المدخلِ) –أيضًا–.

5) وقالَ أحمدُ في زهَّادِ الصّوفيّةِ المبتدعةِ وغيرِهِمْ: "قبورُ أهْلِ السّنّةِ مِنْ أهْلِ الكبائرِ روضةٌ، وقبورُ أهْلِ البدعةِ مِنَ الزُّهَادِ حفرةٌ، فُسّاقُ أهْلُ السّنّةِ أولياءُ اللهِ، وزُهَّادُ أهْلِ البدعةِ أعداءُ اللهِ"![1]

★ففي كلامِ الإمامِ أحمدَ فوائد منهجيّةٍ مهمّةٌ، أذكرُ منها:

1- أنَّهُمْ مبتدعةٌ وفسّاقٌ.

2- لا يُجالَسُونَ حتّى يتوبُوا إلى اللهِ، ويتركُوا الباطلَ الّذي هُمْ عليْهِ.

3- أنَّهُم عَلَى خطرٍ شديدٍ، ووعيدٍ عظيمٍ بعذابٍ مِنَ اللهِ في قبورِهِمْ ويومَ القيامةِ؛ لِعِظَمِ ما هُمْ عليْهِ مِنَ الشَّرِّ!

4- أصحابُ الكبائرِ مِنْ (أهْلِ السّنّةِ) عَلَى ما عندَهُمْ؛ أفضلُ بكثيرٍ مِنْ (أهْلِ البدعةِ)، وعُبَّادِهِمْ وزهَّادِهِمْ؛ لأنَّ المعاصِي لا تُساوي شيئًا أمامَ البدعِ.

5- فيْهِ إثباتُ عقيدةِ أهْلِ السّنّة في أصحابِ الكبائرِ، وأنَّهُمْ تحتَ المشيئةِ، ومآلُهُمْ: الجنّةُ.

6- في كلامِ الإمامِ أحمدَ بيانٌ للكلمةِ المشهورةِ عن بعضِ السّلفِ؛ وهي:

"البدعةُ أحَبُّ إلى إبليسَ مِنَ المعصيةِ؛ لأنَّ المعاصِي يُتَابُ منْهَا، والبِدَعُ لا يُتَابُ منْهَا".[2]

7- في كلامِهِ -رَحِمَهُ اللهُ- وهو المتوفَّى في سنةِ (241هـ) بيانٌ بأنَّ الأناشيدَ والقصائدَ والمدائحَ الّتي انتشرتْ اليومَ باسمِ (الأناشيدِ الإسلاميّةِ) هي قديمةُ العهدِ! ومعَ ذلكَ فقدْ حَكَمَ عليْهَا أهْلُ العلْمِ -مِنْ أمثالِ أحمدَ والشّافعيِّ وغيرِهِمْ- بأنَّ فاعلَ هذِهِ القصائدَ: (فاسقٌ)! وأنَّهُ لا يُجالَسُ، وأنَّهَا بدعةٌ لأنَّ فيهَا صدٌّ عنِ القرآنِ -كمَا قالَ الشّافعيُّ-.

8- في تحذيرِهِ -رَحِمَهُ اللهُ- من المبتدعةِ (كالصّوفيّةِ وغيرِهِمْ) وتسميتِهِمْ بأسمائِهِمْ؛ كـ (الحارثِ المحاسبيِّ) وغيرِهِ؛ نصيحةٌ للمسلمينَ حتّى لا يغترُّوا بِهِمْ فيجالسوهُمْ، ويذهبُوا معهُمْ، ويسمعونَ كلامَهُمْ، وما هُمْ عليْهِ، فيتّبِعونَهُمْ، ويتأثَّرُونَ بِهِمْ!

9- وفي تحذيرِهِ منهُمْ، ومِنْ بدعِهِمْ؛ حفظٌ للدِّينِ مِنْ أنْ تدخُلَ فيْهِ أشياءُ ليستْ منْهُ، وتُحْسَبُ عنْدَ مَنْ لا عِلْمَ لَهُ أنَّهَا منَ الدِّينِ، وهيَ بخلافِ ظنِّهِمْ، كهذِهِ (الأناشيدِ) مثلاً.

---

[1] - (طبقات الحنابلة)، (184/1).

[2] - وسيأتي ذلكَ في كلامِ أبي فارس المالكيّ؛ في كلامِهِ في الصّوفيّةِ، انظر (ص: 32)، من هذا البحث.

10- في كلامِ الإمامِ إشارةٌ إلى أصلٍ عظيمٍ عندَ أهْلِ السُّنّةِ؛ ألاَ وهوَ: هجرُ المبتدعِ إلى أنْ يتوبَ، وهوَ أصلٌ مُجْمَعٌ عليْهِ، وقدْ نقلَ عَلَى هذا الأصلِ (الإجماع) غيرُ واحدٍ من علماءِ المسلمينَ.[1]

11- وفي كلامِ الإمامِ أحمدَ -أيضًا- أنَّ ما عليْهِ أولئكَ القومُ هوَ خلافُ ما كانَ عليْهِ الصحابةُ والتابعونَ الّذينَ أخبرَنَا عنهُمْ نبيُّنَا محمّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ؛ بأنَّهُمْ خَيرُ النّاسِ وخيرُ القرونِ:

((خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الّذينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الّذينَ يَلُونَهُمْ)).. الحديث[2]

((خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الّذينَ يَلُونِي، ثُمَّ الّذينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الّذينَ يَلُونَهُمْ)).. الحديث[3]

وأنَّ النَّاجِي من النّارِ والهَلاكِ مَنْ كانَ عَلَى ما كانُوا عليْهِ من الهدَى والعلْمِ؛ حيثُ قالَ:

"وهلْ تكلَّمَ فيها الصّحابةُ والتابعونَ؟!".[4]

12- في كلامِهِ بيانٌ لمنهجِ السَّلفِ الصّالحِ، ووجوبِ اتّباعِهِ، وأنَّ أعمالَ النّاسِ وعباداتِهِمْ توزَنُ بهذا المنهجِ، فمَنْ وافَقَهُ منْهُمْ فهُوَ مقبولٌ، ومن خالفَهُ منهُمْ فهوَ مردودٌ.

13- وفي كلامِهِ -أيضًا- منَ الفوائدِ: أنَّ أعمالَ النَّاسِ يُحْكُمُ عليْهَا مِنْ حيثُ القبولِ وعدمِهِ بظواهِرِهَا، فالبواطنُ لا يعلمُهَا إلاَّ اللهُ!

وهؤلاءِ وإنْ كانَتْ نيّاتُهُمْ صالحةً فهِيَ لا تكفِيهِمْ؛ لأنَّ متابعةَ الرَّسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ وأصحابِهِ شرطٌ في صحّةِ العملِ، وعليْهَا قبولُهُ وردُّهُ.

قالَ حذيفةُ: "كلُّ عِبَادَةٍ لَا يَتَعَبَّدُهَا أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ فَلَا تَعَبَّدُوهَا؛ فإنَّ الأوَّلَ لَمْ يَدَعْ للْآخِرِ مقَالاً".[5]

وقالَ النّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ في حديثِ (الافتراقِ)؛ عندَمَا سُئِلَ عنِ الفرقةِ النّاجيةِ من النّارِ:

((هُمْ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ ما أنَا عليْهِ اليومَ وأَصْحَابِي))[6]

---

[1] - انظرْ كتاب: (إجماع العلماء على الهجْر والتّحذير من أهْلِ البدع والأهواء)، للشّيخ الظّفيريّ -حفظهُ اللهُ-.

[2] - رواه البخاريّ ومسلم وغيرهما.

[3] - رواه مسلم.

[4] - سبق (ص:22).

[5] - سبق (ص: 15).

[6] - انظرْ: (سلسلة الأحاديث الصّحيحة)، رقم الحديث: 204، و: 1348.

فهذَا الحديثُ -وغيرُهُ كالحديثِ الّذي رواهُ عمرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، عن النّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ أنّهُ قالَ: ((إنَّمَا الأَعْمَالُ بالنِّيَّةِ))[1]- هوَ ميزانُ الأعمالِ الظّاهرةِ، والإخلاصُ هوَ ميزانُ الأعمالِ الباطنةِ، ولا يُقْبَلُ عملٌ عندَ اللهِ إلاَّ باجتماعِهَا.

14- فيهِ الرّجوعُ إلى العلمَاءِ، وسؤالِهِمْ في المسائلِ المنهجيّةِ خصوصًا، وفي غيرِهَا عمومًا.

15- في سؤالِ السّائلِ للإمامِ أحمدَ دونَ غيرِهِ من علماءِ عصرِهِ -وهُمْ أكثرُ مِنْ ألفِ إمامٍ- معرفةُ (طبقاتِ العلماءِ)! وإلى مَنْ يُرْجَعُ لَهُ؛ خصوصًا في النّوازلِ والفتنِ؛ فبعضُهُمْ أعلَمُ مِنْ بعضٍ في فقهِ هذا البابِ!

◆ **قولُ الإمَامِ (يحيى بن معاذ)** رَحِمَهُ اللهُ -والمتوفَّى سنةَ (258هـ)-:

"اجتنبْ ثلاثةَ أصنافٍ منَ النّاسِ: العلماءَ الغافلينَ، والفقراءَ المداهنينَ، والمتصوّفةَ الجاهلينَ".[2]

◆ **وقالَ الإمامُ (وكيع بن جراح الرؤاسيّ)** رَحِمَهُ اللهُ -والمتوفَّى سنةَ (198هـ)-:

"سمعتُ سفيانَ يقولُ: عاصمًا يقولُ: ما زلنَا نعرفُ الصّوفيّةَ بالحماقِ؛ إلاَّ أنَّهُمْ يتَسَتَّرُونَ بالحديثِ!".[3]

◆ **كلامُ الإمامِ (أبي زرعة الرازيِّ)** رَحِمَهُ اللهُ -والمتوفَّى سنةَ (264هـ)- في كُتُبِ شيخٍ ورأسٍ مِنْ رؤوسِ الصّوفيّةِ؛ ألاَ وهوَ (الحارث المحاسبيّ) والّتي ولو قُورِنَتْ بكتبِ الصّوفيّةِ الّذينَ جاؤوا بعدَهُ إلى يومنَا هذَا؛ لكانَتْ لا شيءَ فيهَا باعتبارِ ما في هذهِ الكتبِ منَ البدعِ والكفرِ والضّلالِ!

فعندمَا سُئِلَ - رَحِمَهُ اللهُ- عنِ (الحارثِ المحاسبيِّ) وكتبِهِ؛ قالَ للسّائلِ:

"إيَّاكَ وهذِهِ الكتبَ! هذِهِ كتبُ بدعٍ وضلالاتٍ! وعليكَ بالأثرِ؛ فإنّكَ تجدُ فيهِ ما يُغْنِيكَ عَنْ هذِهِ الكتبِ". قيلَ لَهُ: في هذِهِ الكتبِ عبرةٌ! فقالَ:

"مَنْ لَمْ يكُنْ لَهُ في كتابِ اللهِ -عَزَّ وجلَّ- عبرةٌ؛ فليس لَهُ في هذِهِ الكتبِ عبرةٌ، بلغَكُمْ أنَّ مالكَ بنَ أنسٍ وسفيانَ الثّوريَّ، أو الأوزاعيَّ أو الأئمّة صنَّفُوا كُتبًا في الخطراتِ والوساوسِ، وهذِهِ الأشياءِ؟!!

---

[1] - أخرجه البخاري ومسلم، وغيرهما.

[2] - (تلبيس إبليس).

[3] - المصدر السّابق.

هؤلاءِ قومٌ قدْ خالفُوا أهْلَ العلمِ! يأتونَنَا مرَّةً بالحارثِ المحاسبيِّ! ومرَّةً بعبدِ الرّحيمِ الدّبيليِّ! ومرَّةً بحاتمِ الأصمِّ! ومرَّةً بشقيقٍ البلخيِّ!" ثمَّ قالَ: "ما أسرعَ النّاسَ إلى البدعِ!".[1]

◆ **قالَ الإمامُ (الذّهبيُّ) معلِّقًا عَلَى كلامِ (أبي زرعةَ الرّازيِّ)[2]:**

"وأينَ مثلُ الحارثِ؟ –أيْ: في زمانِهِ– فكيفَ لو رأى أبو زرعة تصانيفَ المتأخّرِينَ كـ "القوت" لأبي طالبٍ، وأينَ مثلُ "القوتِ"؟!

كيفَ لو رأى "بهجةِ الأسرارِ" لابنِ جهمٍ؟ و"حقائقَ التّفسيرِ" للسّلميِّ؟ لطارَ لبُّهُ!

كيفَ لو رأى –أي: أبو زرعة– تصانيفَ أبي حامدٍ الطّوسيّ –الغزاليّ– في ذلكَ عَلَى كثرةِ ما في "الأحياءِ" من الموضوعاتِ؟

كيفَ لو رأى "الغنية" للشّيخِ: عبدِ القادرْ؟

كيفَ لو رأى "فصوصَ الحكم"، و"الفتوحاتِ المكّيَّةِ؟

بلى! لمَّا كانَ لسانُ (الحارثِ المحاسبيِّ) لسانَ القومِ –أيْ: الصّوفيّةُ– في ذلكَ العصرِ؛ كانَ معاصرُهُ ألفَ إمامٍ في الحديثِ، فيهم مثلُ: (أحمد بن حنبل)، و(ابن راهويه)، ولمَّا صارَ أئمّةُ الحديثِ مثلَ ابن الدّخميس، وابن شحانة؛ كانَ قطبُ العارفينَ كصاحبِ "الفصوصِ"، وابنِ سفيانَ! نسألُ اللهَ العفوَ والمسامحةَ! آمين". اهـ

◆ **وقالَ الشّيخُ العلاّمةُ: ربيعٌ المدخليِّ –حفظهُ اللهُ– في "منهج أهْلِ السُّنّة":**

"رحمَ اللهُ الإمامَ الذّهبيَّ! كيفَ لو رأى مثلَ "الطّبقاتِ"، للشّعرانيِّ؟!

و"جواهر المعاني وبلوغ الأمَّاني في فيض ابن عبّاس التّيجانيّ"، لعليٍّ بنِ حزامَ الفاسيّ؟!

كيفَ لو رأى "خزينةَ الأسرارِ"، لمحمّد حقّي النّازليِّ؟!

كيفَ لو رأى "نورَ الأبصارِ"، للشّنجليِّ؟!

كيفَ لو رأى "شواهدَ الحقِّ في جوازِ الاستغاثةِ بسيِّدِ الخلقِ وجامع الكراماتِ"، للنّبهانيِّ؟!

كيفَ لو رأى "تبليغي نصاب"، وأمثالَهُ من مؤلّفاتِ أصحابِ الطّرقِ الصّوفيّةِ؟!..". اهـ[3]

---

[1] – (تاريخ بغداد)، للخطيب البغداديّ، (211/8).

[2] – في (ميزان الاعتدال)، (431/1).

[3] – (ص: 106).

(7)

السّادةُ المالكيّةُ الّذينَ حذَّرُوا مِنْ هذهِ الفرقةِ!

فيما يلي؛ سردٌ لأسماءِ بعضِ علماءِ وفقهاءِ المذهبِ (المالكيِّ)؛ ممَّن ذمَّ هذِهِ الفرقةَ، وحذّرَ منها! ونقلٌ لبعضِ أقوالِهِمْ:

1: الإمامُ مالكُ بنُ أنسٍ.

2: الإمامُ القاضي عياض اليحصبي المالكيّ -توفِّي سنةَ (544 هـ)- رَحِمَهُ اللهُ.

3: الإمامُ أبو الوليد بن رشدٍ المالكيّ - توفِّي سنةَ (520 هـ)..

4: الإمامُ أبو إسحاقَ إبراهيمَ الشّاطبيّ المالكيّ.

5: الإمامُ أبو العباسِ القرطبيّ المالكيّ.

6: الإمامُ أبو عبدِ اللهِ القرطبيّ المالكيّ.

7: الإمامُ أبو بكرٍ محمّد بنُ الوليدِ الطّرطوشيّ المالكيّ -المتوفَّى سنة (520 هـ)-.

8: الإمامُ شمسُ الدّينِ محمّدُ بنُ أحمدَ القرافيّ المالكيّ -المتوفَّى سنةَ (367 هـ)-.

9: الإمامُ شرفُ الدّينِ عيسى الزّواويّ المالكيّ.

10: الإمامُ عبدُ اللهِ بنِ موسى الفشتاليّ المالكيّ.

11: الإمامُ عبدُ الرّحمنِ بنُ خلدونَ المالكيّ .

12: الإمامُ ابنُ العربيِّ المالكيّ رَحِمَهُ اللهُ.

13: العلاّمةُ أبو فارسٍ عبدُ العزيزِ بنُ محمّدٍ القيروانيّ المالكيّ -ت (750 هـ)-.

14: الشّيخُ راشدٌ بنُ أبي راشدٍ الوليديّ المالكيّ -المتوفَّى سنةَ (675 هـ)-.

15: العلاّمةُ أحمدُ بنُ يحيى الونشريسيِّ المالكيّ —المتوفَّى سنةَ (914 هـ)-.

16: محمّدُ بنُ عليٍّ بنِ حمدينَ الأندلسيِّ المالكيّ —المتوفَّى سنة (508 هـ).

وهذا نقلٌ لبعضِ كلامِهِمْ:

❑ **كلامُ إمامِ المذهبِ (مالكِ بنِ أنسٍ)**، وقدْ مرَّ معكَ عندمَا سُئِلَ عنهُمْ وعنْ عباداتِهِمْ، فقالَ: "ما سمعنَا أحدًا منْ أهلِ الإسلامِ يفعلُ هذا!".[1]

وقال: "ويحكَ! ومسلمينَ هُمْ؟!".[2]

❑ **كلامُ (أبي عبدِ اللهِ محمّدِ بنِ عليٍّ بنِ محمّدٍ بنِ عبدِ العزيزِ بنِ حمدينَ الأندلسيِّ المالكيّ)**، -المتوفَّى سنةَ (508هـ)- الّذي وَلِيَ القضاءَ ليوسفَ بنِ تاشفينَ (الملكِ) فسارَ أحسنَ سيرة، وحملَ عنْ أبيهِ، وروَى عنْهُ (القاضي عياض) وعظَّمَهُ، وقالَ: توفِّيَ سنةَ ثمانٍ وخمسِ مئةٍ.

قالَ الذّهبيُّ فيه:

"وَكَانَ يَحُطُّ عَلَى الإِمَامِ أَبِي حَامِدٍ فِي طَرِيقَة التَّصَوُّفِ، وَأَلَّف فِي الرَّدِّ عَلَيْهِ".[3]

ومن ذلكَ قولُهُ:

"إنَّ بَعْضَ مَنْ يَعِظُ مِمَّنْ كَانَ يَنْتَحِلُ رسمَ الفِقْه، ثُمَّ تَبَرَّأَ مِنْهُ شغفًا بِالشِّرعَةِ الغزَّاليَّةِ، وَالنِّحلَةِ الصُّوْفِيَّةِ، أَنشأَ كُرَّاسَةً تَشْتَمِلُ عَلَى مَعْنَى التّعصُّبِ لِكِتَابِ (أَبِي حَامِدٍ) إِمَام بِدعتِهِم، فَأَيْنَ هُوَ مِنْ شُنَعِ مَنَاكِيْرِه، وَمَضَالِيلِ أَسَاطِيرِهِ المبَايِنَة لِلدِّين؟! وَزَعَمَ أَنَّ هَذَا مِنْ علم المعَامِلَة المفضِي إِلَى عِلْمِ المكَاشفَةِ الوَاقع بِهِم عَلَى سِرِّ الربّوبِيَّةِ الّذي لاَ يُسفِرُ عَنْ قِنَاعِهِ، وَلاَ يَفُوزُ بِاطِّلاعهِ إِلاَّ مَنْ تَمَطَّى إِلَيْهِ ثَبَج ضَلاَلَتِهِ الَّتِي رفع لَهُم أَعْلاَمَهَا، وَشرَّعَ أَحكَامَهَا!".[4]

❑ **قولُ الإمامِ (القرافيّ)** رَحِمَهُ اللهُ –ت (367هـ)– في كتابِهِ "الفروقِ"، معلِّقًا عَلَى إحدَى انحرافاتِ الصّوفيّةِ العقديّةِ؛ وهيَ: ادِّعَاؤُهُمْ أنَّ أولياءَهُمْ لَهُمُ القدرةُ عَلَى التّصرُّفِ في الكونِ! وأنَّهُمْ يقولونَ للشّيءِ: "كنْ فيكونُ!":

"وَقَدْ وَقَعَ ذَلِكَ لِجَمَاعَةٍ مِنْ (جُهَّالِ الصُّوفِيَّةِ)، فَيَقُولُونَ: فُلَانٌ أُعْطِيَ كَلِمَةَ (كُنْ)! وَيَسْأَلُونَ أَنْ يُعْطَوْا كَلِمَةَ (كُنْ) الَّتِي فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾[5]

---

[1] . سبق (ص: 18).

[2] - سبق (ص: 18).

[3] - (سير أعلام النبلاء)، (422/19).

[4] - (سير أعلام النبلاء)، (332/19).

[5] - [النحل: 40]

وَمَا يَعْلَمُونَ مَعْنَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ فِي كَلَامِ اللهِ تَعَالَى!

وَلَا يَعْلَمُونَ مَا مَعْنَى إِعْطَائِهَا -إِنْ صَحَّ أَنَّهَا أُعْطِيت-!

وَهَذِهِ أَغْوَارٌ بَعِيدَةُ الرَّوْمِ عَلَى الْعُلَمَاءِ الْمُحَصِّلِينَ، فَضْلًا عَنْ الصُّوفِيَّةِ الْمُتَخَرِّصِينَ! فَيَهْلَكُونَ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ! وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ إِلَى اللهِ تَعَالَى مُتَقَرِّبُونَ! وَهُمْ عَنْهُ مُتَبَاعِدُونَ! عَصَمَنَا اللهُ تَعَالَى مِنْ الْفِتَنِ وَأَسْبَابِهَا وَالْجَهَالَاتِ وَشَبَهِهَا!...

وَكَذَلِكَ قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ حِكَايَةً عَنْ نُوحٍ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ﴾[1]؛ أَيْ: بِجَوَازِ سُؤَالِهِ، فَاشْتَرَطَ الْعِلْمَ بِالْجَوَازِ قَبْلَ الْإِقْدَامِ عَلَى الدُّعَاءِ، وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْأَصْلَ فِي الدُّعَاءِ: (التَّحْرِيمُ)؛ إِلاَّ مَا دَلَّ الدَّلِيلُ عَلَى جَوَازِهِ.

وَهَذِهِ قَاعِدَةٌ جَلِيلَةٌ يَتَخَرَّجُ عَلَيْهَا كَثِيرٌ مِنْ الْفُرُوعِ الْفِقْهِيَّةِ! وَقَدْ تَقَدَّمَ بَسْطُهَا فِي الْفُرُوقِ".اهـ[2]

❑ **قولُ الإمَامِ (أبي بكرٍ محمّد بنُ الوليدِ الطّرطوشيّ المالكيّ)** -المتوفَّ سنة (520هـ)-.

سُئِلَ -رَحِمَهُ اللهُ- عن (الصّوفيّةِ) وأفعالِهِمْ، فقالَ:

" مَذْهَبُ الصُّوفِيَّةِ بَطَالَةٌ وَجَهَالَةٌ وَضَلَالَةٌ! وَمَا الْإِسْلَامُ إِلَّا كِتَابُ اللهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ"... إلى أن قالَ:

" وَلَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَحْضُرَ مَعَهُمْ، وَلَا يُعِينَهُمْ عَلَى بَاطِلِهِمْ، هَذَا مَذْهَبُ مَالِكٍ وَأَبِي حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَغَيْرِهِمْ من أئمَّةِ المسْلِمِينَ، وباللهِ التَّوفيقُ". اهـ[3]

وقالَ فِي رسالةٍ لَهُ إلى ابنِ المظفَّرِ، يتكلَّمُ فيها عن الغزاليِّ -رَحِمَهُ اللهُ-:

"... ثُمَّ تَصَوَّفَ، فَهَجَرَ العُلُوْمَ وَأَهْلَهَا، وَدَخَلَ فِي عُلُوْمِ الخوَاطِرِ، وَأَربَابِ الْقُلُوبِ، ووسَاوسِ الشَّيْطَانِ! ثُمَّ شَابَهَا بآرَاء الفَلاَسِفَةِ، ورُموز الحلاَّجِ، وَجعَلَ يَطْعُنُ عَلَى الفُقَهَاء وَالمتكلِّمين، وَلَقَدْ كَادَ أَنْ يَنْسَلِخَ مِنَ الدّينَ!... فَلَمَّا عَمِلَ كِتَابهُ "الإِحيَاء"، عَمَدَ فَتكلَّم فِي عُلُوْمِ الأَحْوَال، وَمرَامزِ الصُّوْفِيَّة! وَكَانَ غَيْرَ أَنِيسٍ بِهَا، وَلاَ خبِيرٍ بِمَعْرِفَتهَا، فَسَقطَ عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ! فَلاَ فِي عُلَمَاءِ المسلمينَ قَرَّ،

---

[1] - [هود: 47]

[2] - ص: (263و265).

[3] - (الجامع لأحكام القرآن)، للقرطبيّ.

وَلاَ فِي أَحْوَال الزَّاهِدينَ اسْتقرَّ، ثُمَّ شَحَنَ كِتَابهُ بِالكَذِبِ عَلَى رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ. فَلاَ أَعْلَمُ كِتَابًا عَلَى وَجه بسيطِ الأَرْضِ أَكْثَر كذبًا عَلَى الرَّسُول مِنْهُ! ثُمَّ شبَّكهُ بِمَذَاهِبِ الفَلاَسِفَة، وَرموزِ الحَلاَّج، وَمعَانِي رَسَائِلِ إِخْوَانِ الصَّفَا، وَهُم يَرَوْنَ النُّبُوَّة اكتسَابًا! فَلَيْسَ النَّبِيُّ عِنْدَهُم أَكْثَرَ مِنْ شَخْص فَاضِل، تخلَّق بِمَحَاسِنِ الأَخلاَق، وَجَانَبَ سَفْسَافَهَا، وَسَاسَ نَفْسَه حَتَّى لاَ تغلبه شَهْوَة، ثُمَّ سَاق الخَلْقَ بِتِلْكَ الأَخلاَقِ!

وَأَنْكَرُوا أَنْ يَكُوْنَ اللهُ يَبعثُ إِلَى الخَلق رَسُوْلاً! وَزعمُوا أَنَّ المعجزَاتِ حِيَلٌ وَمخَارِيق! وَلَقَدْ شرَّف اللهُ الإِسْلاَمَ، وَأَوضحَ حُجَجَهُ، وَقطعَ العُذْرَ بِالأَدلَّة، وَمَا مَثَلُ مَنْ نَصَرَ الإِسْلاَمَ بِمَذَاهِب الفَلاَسِفَةِ، وَالآرَاء المنطقيَةِ، إِلاَّ كَمَنْ يغسِلُ الثَّوْب بِالبول، ثُمَّ يَسُوْقُ الكَلاَمَ سوقًا يُرْعِدُ فِيْهِ وَيُبْرِقُ، وَيُمَنِّي وَيُشَوِّقُ، حَتَّى إِذَا تَشوَّفتِ لَهُ النُّفُوْسُ، قَالَ: هَذَا مِنْ عِلْمِ المعَامِلَة، وَمَا وَرَاءهُ مِنْ علم المكَاشفَة لاَ يَجُوْزُ تسطيرُهُ فِي الكُتُبِ، وَيَقُوْلُ: هَذَا مِنْ سرِّ الصَّدْرِ الَّذي نُهينَا عَنْ إِفشَائِهِ!

وَهَذَا فِعْلُ (البَاطِنِيَّةِ)، وَأَهْلِ الدَّغَلِ وَالدَّخَلِ فِي الدّينِ، يَسْتَقِلُّ المَوْجُوْدَ، وَيُعلِّقُ النُّفُوْسَ بِالمفقودِ، وَهُوَ تَشويشٌ لعقَائِد القُلُوب، وَتوهينٌ لِمَا عَلَيْهِ كلمَةُ الجَمَاعَةِ، فَلَئِنْ كَانَ الرَّجُلُ يَعتقد مَا سطَّرهُ، لَمْ يَبْعُدْ تَكفِيرُهُ، وَإِنْ كَانَ لاَ يَعتقِدُه، فَمَا أَقْرَبَ تضليلَه!" اهـ[1]

❒ **قالَ القاضي (عياض اليحصبيّ)** -المتوفّ سنةَ (544هـ)-:

"وَالشَّيْخ أَبُو حَامِدٍ ذُو الأَنبَاءِ الشَّنِيعَةِ، وَالتَّصَانِيْفِ العَظِيْمَة، غَلاَ فِي طرِيقَةِ التَّصَوُّفِ، وَتجرَّد لنصرِ مَذْهَبهمْ، وَصَارَ دَاعِيَةً فِي ذَلِكَ، وَأَلَّفَ فِيْهِ تَوَاليفهِ المشهورَة، أُخِذَ عَلَيْهِ فِيْهَا مَوَاضِعُ، وَسَاءتْ بِهِ ظُنُوْنُ أُمَةٍ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِسِرِّه، وَنَفَذَ أَمرُ السُّلْطَان عِنْدنَا بِالمَغْرِبِ وَفَتْوَى الفُقَهَاء بِإِحرَاقهَا وَالبُعدِ عَنْهَا، فَامْتُثِلَ ذَلِكَ".اهـ[2]

وفِي شرحِ "المدوّنةِ" قالَ -رَحِمَهُ اللهُ- شارحًا قولَ الإمَامِ مالكٍ: "وأَكْرَهُ الإجارةَ عَلَى تعليمِ الشِّعرِ والنَّوحِ، وعَلَى كتابةِ ذلكَ"- قالَ:

"معناهُ نَوْحُ المتصوّفةِ وإنشادِهِمْ عَلَى طريقِ النوْحِ والبكاءِ، فمنِ اعتقَدَ فِي ذلكَ أنَّهُ قُرْبة للهِ تَعَالى فهوَ ضالٌّ مُضِلٌّ، وَلا يعْلَمُ المسكينُ أنَّ الجنّةَ حُفّتْ بالمكارهِ، وأنَّ النَّارَ حُفّتْ بالشّهواتِ، واللهُ

---

[1] - انظر: (سير أعلام النّبلاء)، (19/494-495) و: (المعيار المعرب)، و: (تاريخ الإسلام للذّهبيّ).

[2] - المصدر السّابق (19/327).

تَعَالَى لَمْ يَبعَثْ أحدًا منَ الأنبياءِ باللَّهْوِ والرّاحةِ والغِناءِ، وإنّما بُعِثوا بالبِرِّ والتّقوى، وما يُخالفُ الهَوى!
قالَ تَعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾[1]؛ فالباطلُ خفيفٌ عَلَى النّفوسِ، ولذلكَ خفَّ في الميزانِ! والحقُّ ثقيلٌ، ولذلك ثَقُلَ في الميزان!
قالَ تَعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾﴾[2]

❑ **وقالَ الفقيهُ الصّالحُ أبو عبدِ اللهِ الحفّار المالكيّ:**

"إنَّ هذهِ الطَّائفةَ المنتميةَ للتّصوُّفِ في هذا الزمانِ وفي هذهِ الأقطَارِ، قدْ عَظُمَ الضَّررُ بِهِمْ في الدِّينِ، وفشَتْ مفسدتُهُمْ في بلادِ المسلمينَ، ولا سيَّمَا في الحصونِ والقرَى البعيدةِ عن الحضرةِ هنالِكَ، يُظهرونَ ما انطوَى عليْهِ باطنُهُمْ من الضَّلالِ، من تحليلِ ما حرَّمَ اللهُ، والافتراءِ عليْهِ وعَلَى رسولِهِ!
وبالجملةِ فهُمْ قومٌ استخلفَهُمُ الشَّيْطَانُ عَلَى حَلِّ عُرَى الإسلامِ وإبطالِهِ، وهدْمِ قواعِدِهِ!".اهـ[3]

❑ **روَى الإمَامُ (راشدُ بنُ أبي راشدٍ الوليديِّ المالكيّ)** -المتوفَّى سنةَ (675هـ)-، في كتابِهِ "الحلال والحرام"، أنَّهُ سمعَ الإمَامَ (عبدَ اللهِ بنَ موسى الفشتاليّ المالكيّ) يقولُ:

"إنَّ التّائبَ إذَا اقْتَصَرَ عَلَى ما عندَ علماءِ الظَّاهرِ أوْلى وأسلمَ لَهُ، بل لا يجوزُ اليوم اتِّخاذُ شيخٍ لسلوكِ طريقِ المتصوّفةِ أصلاً؛ لأنَّهُمْ يخوضونَ في فروعِهَا ويُهْمِلُونَ شروطَ صحَّتِهَا، وهوَ بابُ التَّوبةِ، إذْ لا يصحُّ بناءُ فرعٍ قبْلَ تأسيسِ أصلِهِ.

قالَ: وسمعتُهُ يقولُ: "لو وجدتُ تآليفَ (القشيريِّ) لجمعتُهَا وألقيتُهَا في البحرِ!

قالَ: وكذلكَ كتبُ الغزاليِّ.

قالَ: وسمعتُهُ يقولُ: إنِّي لأتمنَّى عَلَى اللهِ أنْ أكونَ يوْمَ الحشْرِ مع أبي محمّدٍ بنِ أبي زيدٍ -أيْ: القيرواني- لا مع الغزاليِّ".اهـ[4]

---

1 - [النازعات].
2 - [المزمل].
3 - "من (المعيار المعرب)، للونشريسي.
4 - (نيل الابتهاج بتطريز الديباج)، (ص: 117).

❑ **قولُ الإمَامِ (أبي فارسٍ عبدِ العزيزِ بنِ محمّدٍ القيروانيِّ المالكيِّ)** -المتوفَّ سنةَ (750هـ):-

قالَ في الصّوفيّةِ: "وهذِهِ الطَّائفةُ منْ أصعبِ الطَّوائفِ للعلاجِ! وأبعدِهَا عَنْ فَهْمِ طُرُقِ الاحتجاجِ؛ لأنَّ أوّلَ أصْلٍ أصَّلُوهُ في مذهَبِهِمْ: بغضُ العلماءِ، والتَّنفيرُ عنهُمْ"... إلى أنْ قالَ:

واعلَمُوا أنَّ هذِهِ البدعةَ في فسادِ عقائدِ العوامِّ أسرعُ من سريانِ السُّمِّ في الأجسامِ، وأنَّهَا أضَرُّ في الدِّينِ من الزِّنى والسَّرقةِ والمعاصِي والآثامِ، فإنَّ هذِهِ المعاصِي معلومٌ قُبْحُهَا، معلومٌ عندَ من يرتكِبُهَا ويجتلبُهَا؛ فلا يُلَبِّسُ مرتكبيهَا عَلَى أحدٍ، وتُرْجَى لَهُ التَّوبةُ والإقْلاعُ منْهَا، وصاحبُ هذِهِ البدعةِ يرَى أنَّهَا أفضلُ الطَّاعاتِ! وأعَلَى القُرُباتِ، فبابُ التَّوبةِ عنْهُ مسدودٌ! وهوَ عنْهُ شرودٌ مطرودٌ، فكيفَ تُرْجَى لَهُ منْهَا التَّوبةُ وهوَ يعتقدُ أنَّهَا طاعةٌ وقربةٌ! بلْ هوَ ممَّنْ قالَ اللهُ فيهِمْ:

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾[1]

وممَّنْ قالَ اللهُ فيهِمْ: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ﴾ الآية.[2]

❑ **الإمَامُ (أبو عبدُ اللهِ محمّدُ بنُ أحمدَ بنِ أبي بكرٍ القرطبيِّ)** -المتوفَّ سنةَ (671هـ)- صاحبُ التّفسيرِ المعروفِ؛ فقدْ أكثرَ من ذمِّهِمْ فيْهِ في مواطنَ كثيرةٍ؛ منهَا: قولُهُ -رَحِمَهُ اللهُ- في قولِهِ عَزَّ وجلَّ: ﴿ وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ﴾[3]:

"وَلَعَلَّ جُهَّالَ الْمُتَصَوِّفَةِ، وَزَنَادِقَةَ الْبَاطِنِيَّةِ يَتَشَبَّثُونَ بِهَذِهِ الْآيَةِ وَأَمْثَالِهَا؛ فَيَقُولُونَ: الْعِلْمُ مَا وَهَبَهُ اللَّهُ ابْتِدَاءً مِنْ غَيْرِ كَسْبٍ، وَالنَّظَرُ فِي الْكُتُبِ وَالْأَوْرَاقِ حِجَابٌ. وَهَذَا مَرْدُودٌ!".[4]

ويقولُ -رَحِمَهُ اللهُ-:

" فَأَمَّا طَرِيقَةُ (الصُّوفِيَّةِ): أَنْ يَكُونَ الشَّيْخُ مِنْهُمْ يَوْمًا وَلَيْلَةً وَشَهْرًا مُفَكِّرًا لَا يَفْتُرُ! فَطَرِيقَةٌ بَعِيدَةٌ عَنِ الصَّوَابِ! غَيْرُ لَائِقَةٍ بِالْبَشَرِ! وَلَا مُسْتَمِرَّةٌ عَلَى السُّنَنِ!".[5]

---

[1] - [الكهف].

[2] - [فاطر: 8].

[3] - [آل عمران: 8].

[4] - (الجامع لأحكام القرآن)، (21/2).

[5] - المصدر السابق (315/4).

ويقولُ -رَحِمَهُ اللهُ-:

"وَهَذَا (السُّجُودُ) الْمَنْهِيُّ عَنْهُ قَدِ اتَّخَذَهُ جُهَّالُ الْمُتَصَوِّفَةِ عَادَةً فِي سَمَاعِهِمْ! وَعِنْدَ دُخُولِهِمْ عَلَى مَشَايِخِهِمْ وَاسْتِغْفَارِهِمْ! فَيُرَى الْوَاحِدُ مِنْهُمْ إِذَا أَخَذَهُ الْحَالُ -بِزَعْمِهِ- يَسْجُدُ لِلْأَقْدَامِ! لِجَهْلِهِ سَوَاءٌ أَكَانَ لِلْقِبْلَةِ أَمْ غَيْرِهَا؛ جَهَالَةً مِنْهُ! ضَلَّ سَعْيُهُمْ وَخَابَ عَمَلُهُمْ!".[1]

❐ **ومنَ الأئمّةِ المالكيّةِ الّذينَ ذَمُّوا (الصّوفيّةَ) الإمَامُ (أحمدُ بنُ يحيى الونشريسيَ)** -المتوفَّ سنةَ (914هـ)-، فقد نَقَلَ عنهمْ في كتابِهِ "المعيار المعرب" فتاوى العلمَاءِ في ذمِّهِمْ، من بينِهَا فتوَى الإمَامِ: (عبدِ العزيزِ القيروانيِّ) في أكثرَ من عشْرِ ورقاتٍ.

❐ **قولُ الإمَامِ (أبي إسحاقَ الشّاطبيِّ المالكيِّ)** -رَحِمَهُ اللهُ-: ، والمتوفَّ سنةَ (790هـ)-، في كتابِهِ "الاعتصام"، معلِّقًا عَلَى قولِ محمّدٍ بنِ الفضلِ البلخيِّ:

"ذهابُ الإسلامِ من أربعةٍ: لا يعملونَ بما يعلمونَ، ويعملونَ بما لا يعلمونَ، ولا يتعلَّمونَ ما لا يعلمونَ، ويمنعونَ النّاسَ من العلمِ!".

قالَ (الشّاطبيُّ) معلِّقًا عَلَى هذا القولِ:

"وهذَا ما قالَ هوَ وصفُ صوفيَّتِنَا اليومَ! -عياذًا باللهِ-!".

❐ **كلامُ الإمَامِ (أبي العبّاس القرطبيِّ)** صاحبِ كتابِ "المفهم عَلَى ما أشكلَ في مسلم"، قالَ -رَحِمَهُ اللهُ-:

"وأمَّا ما ابتدَعَهُ الصّوفيّةُ في ذلكَ، فمِنْ قبيلِ ما لا يُختلفُ في تحريمِهِ، لكنِ النُّفُوسُ الشّهوانيّةُ غَلَبَتْ عَلَى كثيرٍ ممَّنْ يُنْسَبُ إلى الخيرِ؛ حتَّى لقدْ ظهرتْ منهُمْ فعلاتُ المجانينِ والصِّبيانِ! حتّى رقصُوا بحركاتٍ متطابقةٍ، وتقطيعاتٍ متلاحقةٍ! وانتهَى التّواقحُ بقومٍ بينَهُمْ إلى أنْ جعلُوهَا مِنْ بابِ القُرْبِ، وصالحِ الأعمالِ! وأنَّ ذلكَ يُثْمِرُ سنيَّ الأحوالِ! وهذا -عَلَى التّحقيقِ- من آثارِ الزّنادقةِ، وقولِ أهْلِ المخرقةِ! واللهُ المستعانُ".اهـ

---

[1] - (الجامع لأحكام القرآن)، (1/ 294).

(8)

كلامُ علماءَ وفقهاءِ الشّافعيّة

فمن كلامِ علماءِ وفقهاءِ الشّافعيّةِ، في ذمِّ (الصّوفيّةِ) ما يلي:

1) **كلامُ الإمامِ (الشّافعيِّ)**، وقدْ مرَّ معكَ (ص: 18).

2) **كلامُ أبي (إسحاقَ الشّيرازيّ الشّافعيِّ)** رَحِمَهُ اللهُ -المتوفَّى سنةَ (476 هـ)- إذْ قالَ فيهِمْ:

أرَى جِيْلَ التَّـصَوُّفِ شَرَّ جيلِ ... فَـقُلْ لَهُـمُ وأَهْـونْ بالحلـولِ

أقَـالَ اللهُ حـينَ عَشِـقْتُمُـوهُ ... كُلُوا أكْلَ البهائِمِ وارقُصُوا لِي؟![1]

3) **قولُ الإمَامِ (أبي الطّيّبِ الطّبريِّ الشّافعيِّ)** رَحِمَهُ اللهُ -المتوفَّى سنةَ (450 هـ)- في الصّوفيّةِ وقصائدِهِمْ:

"وهذِهِ الطّائفةُ مخالفةٌ لجماعةِ المسلمينَ؛ لأنَّهُمْ جعلُوا (الغناءَ) في المساجدِ والجوامعِ وسائرِ البقاعِ الشّريفةِ، والمشاهدِ الكريمةِ!".

4) **قالَ الفقيهُ (تقيُّ الدِّينِ السّبكيُّ الشّافعيُّ)** - كما في "مغني المحتاج" للشّربينيِّ (61/3)-:

"ومنْ كانَ من هؤلاءِ الصّوفيّةِ المتأخّرينَ؛ كـ (ابنِ عربيٍّ)....؛ فَهَؤُلَاءِ ضُلَّالٌ جُهَّالٌ خَارِجُونَ عَنْ طَرِيقِ الْإِسْلَامِ فَضْلًا عَنْ الْعُلَمَاءِ.

وَقَالَ ابْنُ الْمُقْرِي فِي "رَوْضِهِ": إنَّ الشَّكَّ فِي كُفْرِ طَائِفَةِ ابْنِ عَرَبِيٍّ كُفْرٌ".

5) **قولُ الإمامِ (أبي حيّانَ الأندلسيِّ الظّاهريِّ ثمَّ الشّافعيِّ)** -المتوفَّى سنةَ (ت745هـ)- في تفسيرِهِ المشهورِ "البحر المحيط"، في تفسيرِ قولِ اللهِ -عزَّ وجلَّ- في سورة المائدة:

﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ﴾[2]

قالَ -رَحِمَهُ اللهُ- محذِّرًا من الصّوفيّةِ، ذاكِرًا لرؤوسِهِمْ وأئمّتِهِمْ بأسمائِهِمْ:

"وَمِنْ بَعْضِ اعْتِقَادَاتِ النَّصَارَى اسْتَنْبَطَ مَنْ تَسَتَّرَ بِالْإِسْلَامِ ظَاهِرًا وَانْتَمَى إِلَى الصُّوفِيَّةِ حُلُولَ اللهِ تَعَالَى فِي الصُّوَرِ الْجَمِيلَةِ! وَمَنْ ذَهَبَ مِنْ مَلَاحِدَتِهِمْ إِلَى الْقَوْلِ بِالِاتِّحَادِ وَالْوَحْدَةِ؛ كَـ: الْحَلَّاجِ،

---

1 - انظرْ: (تلبيس إبليس).

2 - [المائدة: 17].

وَالشَّوْذِيِّ، وَابْنِ أَحْلَى، وَابْنِ الْعَرَبِيِّ الْمُقِيمِ كَانَ بِدِمَشْق، وَابْنِ الْفَارِضِ، وَأَتْبَاعِ هَؤُلَاءِ كَابْنِ سَبْعِينَ، وَالتُّسْتَرِيِّ تِلْمِيذِهِ، وَابْنِ مُطَرِّفٍ الْمُقِيمِ بِمُرْسِيَةَ، وَالصَّفَّارِ الْمَقْتُولِ بِغِرْنَاطَةَ، وَابْنِ اللَّبَّاجِ، وَأَبُو الْحَسَنِ الْمُقِيمُ كَانَ بِلُورَقَةَ.

وَمِمَّنْ رَأَيْنَاهُ يُرْمَى بِهَذَا الْمَذْهَبِ الْمَلْعُونِ:

الْعَفِيفُ التِّلِمْسَانِيُّ، وَلَهُ فِي ذَلِكَ أَشْعَارٌ كَثِيرَةٌ

وَابْنُ عَيَّاشٍ الْمَالِقِيُّ، الْأَسْوَدُ الْأَقْطَعُ الْمُقِيمُ كَانَ بِدِمَشْقَ

وَعَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ الْمُؤَخَّرِ، الْمُقِيمُ كَانَ بِصَعِيدِ مِصْرَ

وَالْأَيْكِيُّ الْعَجَمِيُّ، الّذي كَانَ تَوَلَّى الْمَشْيَخَةَ بِخَانِقَاهِ سَعِيدِ السُّعَدَاءِ بالقَاهِرِ مِنْ دِيَارِ مِصْرَ

وَأَبُو يَعْقُوبَ بْنُ مُبَشِّرٍ تِلْمِيذُ التُّسْتَرِيِّ الْمُقِيمُ كَانَ بِحَارَةِ زُوَيْلَةَ.

وَإِنَّمَا سَرَدْتُ أَسْمَاءَ هَؤُلَاءِ نُصْحًا لِدِينِ اللهِ! -يَعْلَمُ اللهُ ذَلِكَ- وَشَفَقَةً عَلَى ضُعَفَاءِ الْمُسْلِمِينَ، وَلِيَحْذَرُوا! فَهُمْ شَرٌّ مِنَ الْفَلَاسِفَةِ الّذينَ يُكَذِّبُونَ اللهَ تَعَالَى وَرُسُلَهُ، وَيَقُولُونَ بِقِدَمِ الْعَالَمِ، وَيُنْكِرُونَ الْبَعْثَ.

وَقَدْ أُولِعَ جَهَلَةٌ مِمَّنْ يَنْتَمِي لِلتَّصَوُّفِ بِتَعْظِيمِ هَؤُلَاءِ، وَادِّعَائِهِمْ أَنَّهُمْ صَفْوَةُ اللهِ وَأَوْلِيَاؤُهُ، وَالرَّدُّ عَلَى النَّصَارَى وَالْحُلُولِيَّةِ وَالْقَائِلِينَ بِالْوَحْدَةِ هُوَ مِنْ عِلْمِ أُصُولِ الدِّينِ".اهـ[1]

وتكلَّمَ عليْهِمْ -أيضًا- في تفسيرِهِ لسورةِ الأنعامِ، عند قولِهِ تَعَالى: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾[2]، حيث قالَ:

"وَلَقَدْ يَظْهَرُ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُنْتَسِبَةِ إِلَى (الصُّوفِ) أَشْيَاءُ مِنِ ادِّعَاءِ عِلْمِ الْمُغَيَّبَاتِ! وَالِاطِّلَاعِ عَلَى عِلْمِ عَوَاقِبِ أَتْبَاعِهِمْ! وَأَنَّهُمْ مَعَهُمْ فِي الْجَنَّةِ مَقْطُوعٌ لَهُمْ وَلِأَتْبَاعِهِمْ بِهَا، يخبرونَ بذلكَ على رؤوسِ الْمَنَابِرِ، وَلَا يُنْكِرُ ذَلِكَ أَحَدٌ! هَذَا مَعَ خُلُوِّهِمْ عَنِ الْعُلُومِ يُوهِمُونَ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ!"[3].

6) وقالَ أبو حيّانَ -أيضًا- في تفسيرِهِ "البحر المحيط"، في سورة الأعراف- قالَ عينَ ما عليْهِ الصّوفيّةُ اليوم! كيفَ لا وهُمْ أحفادُ هؤلاءِ وأذنابِهِمْ، وهذا الكلامُ منْهُ؛ لَهُ حوالي (700) سنةً!

---

[1] - (210/4).

[2] - [الأنعام: ٥٩].

[3] - (535/4).

قالَ: "وَلَوْ عَاشَ الْحَسَنُ إِلَى هَذَا الزَّمَانِ الْعَجِيبِ الّذي ظَهَرَ فِيهِ نَاسٌ يَتَسَمَّوْنَ بِالْمَشَايِخِ! يَلْبَسُونَ ثِيَابَ شُهْرَةٍ عِنْدَ الْعَامَّةِ بِالصَّلَاحِ! ويتركونَ الاكتِسَاب، ويتركُونَ لَهُمْ أَذْكَارًا لَمْ تَرِدْ فِي الشَّرِيعَةِ يَجْهَرُونَ بِهَا فِي الْمَسَاجِدِ، وَيَجْمَعُونَ لَهُمْ خُدَّامًا يَجْلِبُونَ النَّاسَ إِلَيْهِمْ لِاسْتِخْدَامِهِمْ، وَنَتْشِ أَمْوَالِهِمْ! وَيُذِيعُونَ عَنْهُمْ كَرَامَاتٍ! وَيَرَوْنَ لَهُمْ مَنَامَاتٍ يُدَوِّنُونَهَا فِي أَسْفَارٍ! وَيَحُضُّونَ عَلَى تَرْكِ الْعِلْمِ وَالِاشْتِغَالِ بِالسُّنَّةِ! وَيَرَوْنَ الْوُصُولَ إِلَى اللهِ بِأُمُورٍ يُقَرِّرُونَهَا مِنْ (خَلَوَاتٍ وَأَذْكَارٍ) لَمْ يَأْتِ بِهَا كِتَابٌ مُنَزَّلٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ!

وَيَتَعَاظَمُونَ عَلَى النَّاسِ بِالِانْفِرَادِ عَلَى سَجَّادَةٍ، وَنَصْبِ أَيْدِيهِمْ لِلتَّقْبِيلِ، وقلَّةِ الكلامِ، وإطْرَاقِ الرُّؤوسِ! وَتَعْيِينِ خَادِمٍ يَقُولُ: "الشَّيْخُ مَشْغُولٌ فِي الْخَلْوَةِ"، "رَسَمَ الشَّيْخُ"، "قَالَ الشَّيْخُ"، "رَأَى الشَّيْخُ"، "الشَّيْخُ نَظَرَ إِلَيْكَ"، "الشَّيْخُ كَانَ الْبَارِحَةَ يَذْكُرُكَ"، إِلَى نَحْوٍ مِنْ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ الَّتِي يَخُشُّونَ بِهَا عَلَى الْعَامَّةِ! وَيَجْلِبُونَ بِهَا عُقُولَ الْجَهَلَةِ، هَذَا إِنْ سَلِمَ الشَّيْخُ وَخَادِمُهُ مِنَ الِاعْتِقَادِ الّذي غَلَبَ الْآنَ عَلَى مُتَصَوِّفَةِ هَذَا الزَّمَانِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْحُلُولِ، أَوِ الْقَوْلِ بِالْوَحْدَةِ! فَإِذْ ذَاكَ يَكُونُ مُنْسَلِخًا عَنْ شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ بِالْكُلِّيَّةِ!

وَالتَّعَجُّبِ لِمِثْلِ هَؤُلَاءِ كَيْفَ تُرَتَّبُ لَهُمُ الرَّوَاتِبُ، وَتُبْنَى لَهُمُ الرُّبُطُ، وَتُوقَفُ عَلَيْهَا الْأَوْقَافُ، وَيَخْدِمُهُمُ النَّاسُ مَعَ عَدُولِهِم عَنْ سَائِرِ الْفَضَائِلِ".اهـ[1]

7) **قالَ الحافظُ** (ابنُ حجرَ) في "فتح الباري في شرح البخاريّ"[2] – بعدَ نقلِهِ لكلامِ الإمامِ (أبي العبّاس القرطبيّ) صاحبِ كتابِ "المفهم عَلَى ما أشكلَ في مسلمٍ"، في ذمّهِ للصُّوفيَّةِ:

"وأمَّا ما ابتدَعَهُ الصّوفيّةُ في ذلكَ، فمِنْ قبيلِ ما لا يختلفُ في تحريمِهِ، لكنِ النُّفُوسُ الشّهوانيّةُ غَلَبَتْ عَلَى كثيرٍ ممَّنْ يُنسَبُ إلى الخيرِ؛ حتَّى لقدْ ظهرتْ منهُمْ فعلاتُ المجانينِ والصِّبيانِ!

حتّى رقصُوا بحركاتٍ متطابقةٍ، وتقطيعاتٍ متلاحقةٍ! وانتهَى التّواقحُ بقومٍ بينَهُمْ إلى أنْ جعلُوهَا مِنْ بابِ القُرْبِ، وصالحِ الأعمالِ! وأنَّ ذلكَ يُثْمِرُ سنيَّ الأحوالِ! وهذا –عَلَى التّحقيقِ– من آثارِ الزّنادقةِ، وقولِ أهْلِ المخرقةِ! واللهُ المستعانُ".اهـ[3]– قالَ –رَحِمَهُ اللهُ– مقرًّا لكلامِهِ، زائدًا عليْهِ:

"وينبغِي أنْ يَعْكِسَ مُرَادَهُمْ، ويَقْرَأَ سَيِّءَ الأَحْوَالِ".

---

[1] – (69/5).

[2] – (442/2).

[3] – وقد سبق ذكره صفحة: (33).

8) **قولُ** (**تقيِّ الدِّينِ بنِ أبي بكرٍ الحسينيِّ**) **الشّافعيِّ**، من كبارِ علماءِ الشّافعيّةِ، في القرنِ التّاسعِ الهجريِّ؛ فقدْ أكثرَ من ذمِّهِمْ، والطَّعْنِ فيهِمْ وفي مذهبِهِمُ الرَّديءِ، في كتابِهِ: "كفاية الأخيار".

فتكلَّمَ عليْهِمْ في كتابِ (الزَّكاةِ)، عندَ كلامِهِ عَلَى الأصنافِ الّتي تُدْفَعُ إليهِمُ (الزَّكاةُ)، فقالَ:

"... الأراذلُ من المتصوِّفةِ الّذينَ قدِ اشْتُهِرَ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ منْ أهْلِ الصَّلاَحِ المنْقَطِعِينَ لِعِبَادَةِ رَبِّهِمْ، قَدِ اتَّخَذَ كلُّ مِنْهُمْ زَاوِيَةً، أَو مَكَانًا يظْهَرُ فِيهِ نوعًا منَ الذِّكْرِ..".[1]

وقالَ بعدَمِ جوازِ إعطاءِ (الزَّكاةِ) لَهُمْ، وأنَّ الذِّمَّةَ لا تبرأُ بذلكَ، وتكلَّمَ عليْهِمْ في بابِ (الوصيّةِ)، وأنَّ الإنسانَ إذا أوْصَى لَهُم بأرضٍ؛ ليُقَامَ عليْهَا زاويةٌ؛ لا تصحُّ الوصيّةُ.

وتكلَّمَ عليْهِم في بابِ (الوقفِ) عندَ أحكامِهِ.

وتكلَّمَ عليْهِمْ في كتابِهِ "الأقضية"، عندَ ذِكْرِ مَنْ لا يُقْبَلُ شهادتُهُمْ.

ذَكَرَ منهُمُ (الصّوفيّةَ)، فقالَ:

"وَكَذَا (الرُّقّاصُ) كهذِهِ (الصُّوفِيَّة) الّذينَ يسعَوْنَ إِلَى ولائمِ الظَّلَمَةِ، والمَكَسَةِ، ويُظْهِرُونَ التَّواجُدَ عِنْدَ رقصِهِمْ! وتحريكِ رُؤوسِهِمْ، وتلويحِ لحاهُمُ الخسيسةِ! صنعَ المجانينِ! وَإِذا قُرِئَ الْقُرْآنُ لَا يَسْتَمِعُونَ لَهُ وَلَا ينصتونَ! وَإِذا نَعَقَ مزمارُ الشَّيْطَانِ صَاح بَعضُهُمْ على بعضٍ بالوسواسِ! قَاتلَهُمُ اللهُ مَا أفسقَهُمْ وأزهدَهُمْ فِي كتابِ اللهِ! وأرغبَهُمْ فِي مزمارِ الشَّيْطَانِ، وَقرن الشَّيْطَانِ! عَافَانَا اللهُ منْ ذَلِكَ".اهـ[2]

9) (**ظهرُ الدِّينِ أبو إسحاقَ بنُ عسكرَ الفقيهُ الشّافعيُّ**)، قاضِي سلامةَ بالموصلِ -المتوفَّى سنةَ (610هـ)- حكَى عنْهُ الحافظُ (ابنُ كثيرٍ) في "البداية والنهاية" بعدَ ذكْرِهِ أنَّهُ كانَ دائمَ التَّصدِّي للصّوفيَّةِ وانحرافِهَا، وكانَ يجدُ منهُمُ الأذَى!

وحصَلَ لَهُمْ يومًا أنْ هَجَا (مكِّيًّا) شيخَ زاويةِ الصّوفيّةِ بالبوازيخ -بلدةٌ في العراقِ-:

ألاَ قـلْ لِمَكِّيٍّ قَـولَ النّصُـوحِ ... فَـحقُّ النَّصِيحَـةِ أن تُستَمَـعْ
متَى سَمِـعَ النَّاسُ فِي دِينِهِـمْ ... بأنَّ الـغِنَـا سُنَـةٌ تُتَّبَـعْ؟!

---

[1] - (191/1).

[2] - (568/1).

وأنْ يأكُلَ المرءُ أكلَ البعـــيرِ   وَيَرقــصَ في الجَمْــعِ حتَّى يَقَعْ
ولَوْ كــانَ طَاويَ الحَشَا جَائِعًا   لما دَارَ من طَــرَبٍ واسْتَمَـْــع!

10) وقالَ الإمَامُ الحافظُ الفقيهُ الأديبُ ابنُ سيِّدِ النّاسِ (فتحُ الدِّينِ أبو الفتحِ محمّدُ بنُ محمّدٍ اليعمريُّ المصريُّ الشّافعيُّ)؛ مبيِّنًا أنَّ الصّوفيَّ هوَ مَنْ جَمَعَ الشَّرَّ في قولِهِ وفعلِهِ! عقيدةً وعبادةً!

ما شُروطُ الصُّوفيِّ في عصْرِنَا اليَـوْ   مَ سِـوَى ستّــةٍ بغيـــرِ زيــادَهْ
وهيَ ....العلوقِ والسُّكْرِ والسَّطْ   لَةِ والرَّقْـــصِ والغِنَـــا والقِيادَهْ
وإذَا ما هـذَى وأبـدَى اتّحـــادًا   وحـُــلُولاً من جهــلِهِ أو أعادهْ
وأتـــى المنــكَرَاتِ عَقْـلاً وشَرْعًا   فـــهو شيخُ الشُّيوخُ ذو السجَّادَهْ!

11) العلاّمةُ (شهابُ الدِّينِ عبدُ الرّحمنِ بنُ إسماعيلَ الشّافعيِّ)، المعروف بـ (أبي شامةَ) –توفِّيَ –رَحِمَهُ اللهُ– في دمشق سنة: (665هـ).

من مؤلّفاتِهِ كتابُ "الباعثُ عَلَى إنكارِ البدعِ والحوادثِ"، والّذي ردَّ فيه عَلَى بدعِ (الصّوفيّةِ) وغيرِهِمْ، وعدَّدَ فيهِ الكثيرَ من بدَعِهِمْ وانحرافِهِمْ!

وانظرْ ما قالَهُ في هذا الكتابِ في فصلِ (البدع المستقبحة):

" ... لَكِن نبيِّنُ من هَذَا الْقِسْمِ مِمَّا وَقع فِيهِ جَمَاعَةٌ من جُهَّالِ الْعَوامِّ النَّابذِينَ لشريعةِ الإسْلامِ، التّاركِينَ للاقتِداءِ بأئمَّةِ الدّينِ وَالْفُقَهَاءِ، وَهُوَ مَا يَفْعَلُهُ طوائفُ من المنتمين الى الْفقْر –أيْ: التّصوّفِ–الّذي حَقِيقَتُهُ: الافتقارُ منَ الإيمانِ! من مؤاخاةِ النِّسَاء الْأَجَانِب، وَالْخَلْوَة بِهِنَّ! واعتقادِهِمْ فِي مَشَايِخَ لَهُم ضَالِّينَ مضلِّينَ، يَأْكُلُونَ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ من غَيْرِ عُذْرٍ! ويتركونَ الصَّلَاَةَ، ويخامِرُونَ النَّجَاساتِ، غيرَ مكترثِينَ لذَلِك! فهم داخِلونَ تَحت قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾[1]

وبِهذِهِ الطّرُقِ وأمثالِهَا؛ كَانَ مبادِىءُ ظُهُورِ الْكفْرِ؛ من عبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَغَيرِهَا!"[2]

1 – [الشورى: 21].

2 – (25/1).

وقالَ في موضعٍ آخرَ: "ومنْ زَعَمَ مِنْ جَهَلَة الصّوفيّةِ أنَّهُ يرَى النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ في اليقظةِ، أو أنَّهُ يحضرُ المولدَ، أو ما شابَهَ ذلكَ؛ فقدْ غَلطَ أقبحَ غلطٍ! ولُبِّسَ عليْهِ غايةَ التَّلبيسِ! ووقعَ في خطأٍ عظيمٍ! وخالفَ الكتابَ والسُّنّةَ وإجماعَ أهْلِ العلمِ؛ لأنَّ الموتَى إنَّمَا يخرُجُونَ من قبورِهِمْ يومَ القِيامَةِ؛ لاَ في الدّنيَا! كمَا قالَ اللهُ –سُبْحَانَهُ وتَعَالَى–:

﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ۝١٦ ﴾[1] الآية ...".اهـ[2]

12) العلاَّمةُ (عبّاسُ بنُ منصورٍ السّكسكيّ الشّافعيِّ) –المتوفَّى سنةَ (683هـ)–، لَهُ كتابٌ اسمُهُ: "البرهان في معرفة عقائد أهْلِ الأديان"، قالَ في آخرِهِ:

"قدْ ذكرتُ هذِهِ الفرقةَ الهادِيةَ المهديَّةَ –أي: أهْلَ السُّنّة – وأنَّهَا عَلَى طريقةٍ متَّبعةٍ لِهَذِهِ الشّريعةِ النبويَّة... وغيرِ ذلكَ ممَّا هوَ داخلٌ تحتَ الشَّريعةِ المطهَّرة، ولمْ يَشُذَّ أحدٌ منهُمْ عَنْ ذلكَ سوَى فرقة واحدة تسمَّتْ بـ (الصّوفيّةِ)، ينتسبونَ إلى أهْلِ السُّنّةِ، وليسُوا منهُمْ، قد خالفوهُمْ في الاعتقادِ، والأفعالِ، والأقوالِ!

أمَّا الاعتقادُ: فسلكُوا مسلكًا للباطنيّةِ الّذينَ قالُوا: "إنَّ للقرآنِ ظاهرًا، وباطنًا!...".

13) الإمَامُ (شمسُ الدِّينِ الذَّهبيُّ الشّافعيُّ) –رَحِمَهُ اللهُ– مؤرِّخُ الإسلامِ، والعَلَمِ الهُمامُ وفي زمانِهِ شيخُ الإسلامِ؛ مرّةً يقولُ: "نعوذُ باللهِ من تُرّهَاتِ الصّوفيّةِ!"

ومرَّةً يقولُ في كتابِ رأسٍ من رؤوسِهِمْ ألاَ وهوَ (ابنُ عربيٍّ الطّائيِّ)،"الفصوص":

"فإنْ كانَ لا كُفْرَ فيهِ؛ فمَا في الدُّنيَا كفرٌ!".

ولَهُ كلامٌ كثيرٌ فيهِمْ في طيّاتِ كتابِهِ: "سير أعلام النّبلاء".

---

[1] – [المؤمنون].

[2] – (115/1).

(9)

كلامُ علماءِ وفقهاءِ الحنابلةِ

1◘ قدْ تقدَّم كلامُ أحمدَ -رَحِمَهُ اللهُ- وما فيهِ من المسائلِ.[1]

2◘ كلامُ الحافظِ (ابنِ الجوزيِّ)، رَحِمَهُ اللهُ -المتوفَّى سنةَ (597هـ)-؛ فقدْ ذمَّهُمْ، وألَّفَ كتابَهُ "تلبيس إبليس"، وجعلَ جُلَّ مباحثِهِ في الرَّدِّ عليْهِم!

وسيأتي بعضُ كلامِهِ -إنْ شاءَ اللهُ تعالى-.[2]

3◘ الإمَامُ (عُبيدُ اللهِ بنُ بطَّةَ العُكْبَرِيُّ) -المتوفَّى سنةَ (387 هـ)-.

قال الإمَامُ ابنُ الجوزيِّ رَحِمَهُ اللهُ:

"أخبرَنَا محمّدُ بنُ ناصرٍ، حدَّثَنَا عبدُ الرَّحمنِ بنُ أبي الحُسين بنِ يوسُفَ، حدَّثَنا محمّدُ بنُ عليٍّ العبّاديِّ قالَ: قالَ أبو عبدُ اللهِ بنُ بطَّةَ العُكْبَرِيُّ:

"سأَلَني سائلٌ عنِ استماعِ الغناءِ، فنهيتُهُ عن ذلكَ، وأعلمْتُهُ أنَّهُ ممّا أنكرَتْهُ العلمَاءُ، واستحسَنَهُ السُّفَهَاءُ! وإنَّمَا تفعلُهُ طائفةٌ سُمُّوا بـ (الصّوفيّةِ)، وسماهُمُ المحقِّقُونَ: (الجبريّةَ) أهْلُ هممٍ دنيئةٍ! وشرائعَ بدعيّةٍ! يُظْهِرُونَ (الزّهدَ)! وكلُّ أسبابِهِمْ ظلمةٌ، يدَّعُونَ الشَّوقَ والمحبَّةَ بإسقاطِ الخوفِ والرَّجاءِ، يسمعونَهُ من الأحداثِ والنِّساءِ، ويطرَبُونَ ويُصعَقُونَ، ويتغاشَوْنَ ويتماوتُونَ، ويزعمونَ أنَّ ذلكَ منْ شِدَّةِ حُبِّهِم لربِّهِمْ، وشوقِهِمْ إليْهِ! تَعَالى اللهُ عمَّا يقولُهُ الجاهلونَ علوًّا كبيرًا!".

4◘ الإمَامُ (ابنُ عقيلٍ) رَحِمَهُ اللهُ:

قالَ (ابنُ الجوزيِّ) - رَحِمَهُ اللهُ- "ونقلْتُ عنِ ابنِ عقيلٍ من خطِّهِ أنَّهُ قالَ: وأنا أذُمُّ الصّوفيّةَ لوجوهٍ يوجِبُ الشَّرعُ ذمَّ فاعلِهَا...".

5◘ وقالَ ابنُ عقيلٍ -أيضًا-:

"والنَّاسُ يقولُونَ: إذا أحبَّ اللهُ خرابَ بيتِ تاجرٍ؛ عاشَرَ الصّوفيّةَ!".

---

[1] - انظر: (ص: 21-24).

[2] - وذلك في صفحة: (48).

قالَ: "وأنا أقولُ: -أيْ: ابنُ عقيلٍ- وخرابُ دينِهِ!".

6◘ قولُ الإمَامِ (أبي الحسنِ الأشعريِّ) -المتوفَّ سنةَ (324 هـ)، في مقالاتِ الإسلاميِّينَ:

"وقدْ زعمَ بعضُ (الصّوفيّةِ) أنَّ العبادةَ تبلغُ بِهِمْ حتَّى يكونَ أفضلَ منَ النَّبيِّينَ والملائكةِ المقرَّبينَ!".[1]

7◘ قولٌ آخرُ (لابنِ عقيلٍ الحنبليِّ) في (الصّوفيّةِ):

"ما عَلَى الشَّريعةِ أضرُّ من المتكلِّمينَ والمتصوِّفينَ! فهؤلاءِ (المتكلِّمونَ) يُفْسِدُونَ عقائدَ النَّاسِ بتوهّماتِ شُبَهِ العقولِ، وهؤلاءِ (المتصوّفةُ) يفسدونَ الأعمالَ ويهدِمُونَ قوانينَ الأديانِ! فالّذي يقولُ حدَّثَني قلْبِي عنْ ربِّي؛ فقدِ استغْنَى عنْ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ! وقدْ خَبِرْتُ طريقةَ الفريقينِ: فغايةُ هؤلاءِ (الشّكُّ)!

وغايةُ هؤلاءِ -أيْ: الصّوفيّةِ- (الشَّطْحُ)!".[2]

وقالَ -رَحِمَهُ اللهُ-:

"كفَى اللهُ شرَّ هذِهِ الطَّائفةِ الجامعةِ بينَ دهمثةٍ في اللِّبْسِ، وطيبةٍ في العيشِ، وخداعٍ بألفاظٍ معسولةٍ؛ ليسَ تحتَهَا سوَى إهمالُ التَّكليفِ! وهجرانِ الشَّرعِ! ولذلكَ خَفُّوا عَلَى القلوبِ! ولا دلالةَ عَلَى أنَّهُمْ أربابُ باطلٍ أوضحَ مِنْ محبَّةِ طباعِ الدُّنْيَا لَهُم كمحبَّتِهِمْ أربابَ اللَّهْوِ والمغنِّيَاتِ".[3]

8◘ قولُ (ابنِ رجبِ الحنبليِّ) -رَحِمَهُ اللهُ-:

"ذكَرَ طائفةٌ منْ أصحابِنَا أنَّ الكشْفَ ليسَ بطريقٍ للأحكامِ، وأخذَهُ القاضِي (أبو يعْلَى) مِنْ كلامِ (أحمدَ) في ذمِّ المتكلِّمينَ في الوساوسِ والخطراتِ... وإنَّمَا ذمَّ أحمدُ وغيرُهُ المتكلِّمينَ عَلَى الوساوسِ والخطراتِ من (الصّوفيّةِ)؛ حيثُ كانَ كلامُهُمْ في ذلكَ لا يستندُ إلى دليلٍ شرعيٍّ؛ بلْ إلى مجرَّدِ رأيٍ وذوقٍ!"

[1] - (ص: 439).
[2] - (تلبيس إبليس)، (330/1).
[3] - المصدر السّابق، (329/1).

كلامُ علماءِ وفقهاءِ الحنفيّةِ

1 ○ العلاّمةُ (محمّدُ عبد الرّحمنِ بنِ عبدِ الرَّحيمِ المباركفوريُّ)، من علمَاءِ الحديثِ في بلادِ الهندِ -توفِّيَ سنةَ (1353هـ)- قالَ:

"فَإِنَّ (السَّمَاعَ) لَيْسَ مِمَّا يُعِينُ عَلَى الْحَقِّ! وَالسَّمَاعُ الّذي هُوَ فَاشٍ فِي هَذَا الزَّمَانِ بَيْنَ الْمُتَصَوِّفَةِ الْجَهَلَةِ لَا شَكَّ فِي أَنَّهُ مُعِينٌ عَلَى الْفَسَادِ وَالْبَطَالَةِ!...". انتهى[1]

2 ○ الشّيخُ العلاَّمةُ (محمودُ بنُ أحمدَ بدرِ الدِّينِ العينيِّ) المصريِّ الحنفيِّ -المتوفَّ سنة (855هـ)، قالَ في "عمدة القاري شرح صحيح البخاريّ"، في شرحِهِ لحديثِ أبي هريرةَ -رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ- قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ:

((مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلاَةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا))، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! أَفَلاَ نُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: ((إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّةِ - أُرَاهُ - فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ))[2]

"قَوْلُهُ: (أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ)، -وَفِي بعضِ النُّسَخِ: (أَوْ جَلَسَ فِي بَيتِهِ)، فِيهِ تأنيسٌ لمن حُرِمَ الْجِهَاد فِي سَبِيلِ اللهِ، فَإِنَّ لَهُ من الْإِيمَان بِاللهِ والتزامِ الْفَرَائِض مَا يوصِلُهُ إِلَى الْجنَّةِ؛ لِأَنَّهَا هِيَ غَايَةَ الطَّالبينَ، وَمِنْ أجْلِهَا بذْلُ النُّفُوسِ فِي الْجِهَادِ، خلافًا لما يَقُولُهُ بعضُ جهلةِ المتصوّفةِ".اهـ[3]

3 ○ العلاَّمةُ (شمسُ الحقِّ أبو الطَّيِّبِ محمّدُ بنُ عليٍّ بنِ مقصودَ عليّ الصّدّيقيّ العظيم آبادي) – المتوفَّ سنة (13291هـ)- قالَ في "عون المعبود"، تحتَ حديثِ بابِ (النّذرُ في المعصيةِ):

---

[1] - (تحفة الأحوذيّ)، (219/5).

[2] - صحيح البخاري.

[3] - (90/14).

"وَفِيهِ دَلِيلٌ -أَيْضًا- عَلَى إِبْطَالِ مَا أَحْدَثَتْهُ (الْجَهَلَةُ الْمُتَصَوِّفَةُ) مِنَ الْأَشْغَالِ الشَّدِيدَةِ الْمُحْدَثَةِ، وَالْأَعْمَالِ الشَّاقَّةِ الْمُنْكَرَةِ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهَا طَرِيقَةُ تَزْكِيَةِ أَنْفَاسِهِمْ! وَهَذَا جَهْلٌ مِنْهُمْ عَنْ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ مَا تَرَكَ لَنَا شَيْئًا إِلَّا بَيَّنَهُ؛ فَمِنْ أَيْنَ وَجَدُوهَا؟! وَمِنْ أَيْنَ أَخَذُوهَا؟! وَاللهُ أَعْلَمُ". اهـ[1]

4 ❍ وقالَ العلاَّمةُ (محمّد بنُ عبدِ الهادي) السّنديُّ المدنيُّ الحنفيّ -ت (1138هـ)- قالَ في حاشيتِهِ عَلَى "صحيح البخاري"، عندَ ذكرِهِ لعشرةِ أمثلةٍ لاتّبَاعِ الهَوى والتّقليدِ:

"والخامسُ: رأيُ نابتةِ متأخِّرةِ الزّمانِ منَ المتصوّفةِ:

والخامسُ: رأيُ نابتةِ متأخّرةِ الزّمانِ؛ ممَّنْ يدَّعِي التَّخلُّقَ بخُلُقِ أهْلِ التَّصَوُّفِ المتَقدِّمينَ، أو يرومُ الدُّخولَ فيهِمْ، يعمدُونَ إلى ما نُقِلَ عَنْهُمْ في الكتبِ منَ الأحْوالِ الجاريةِ عليْهِمْ، أو الأقوالِ الصّادرةِ عنهُمْ، فيتَّخذُونَها دينًا وشريعةً لأهْلِ الطَّريقةِ وإنْ كانَتْ مخالِفَةً للنُّصوصِ الشَّرعيَّةِ منَ الكتابِ والسُّنّةِ! أو مخالفةً لِمَا جاءَ عنِ السَّلفِ الصَّالحِ! لا يلتفتونَ إلى فُتْيَا مفتٍ، ولا نظرِ عالمٍ؛ بلْ يقولونَ: إنَّ صاحبَ هذا الكلامِ ثبتَتْ ولايتُهُ، فكلُّ ما يفعلُهُ أو يقولُهُ حقٌّ؛ وإنْ كانَ مخالفًا فهوَ أيضًا ممَّنْ يُقْتَدَى بِهِ! والفِقْهُ للعمومِ، وهذِهِ طريقةُ الخصوصِ! فتراهُمْ يحسنونَ الظَّنَّ بتلكَ الأقوالِ والأفعالِ، ولا يحسنونَ الظَّنَّ بشريعةِ محمّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ وهوَ عينُ اتّباعِ الرّجالِ وتركِ الحقِّ!".

5 ❍ العلاَّمةُ الفقيهُ (صنعُ اللهِ بنُ صنعِ اللهِ) الحلبيّ الحنفيّ -المتوفَّى سنةَ (1120هـ)- رَحِمَهُ اللهُ، قالَ في كتابِهِ: "سيفُ اللهِ عَلَى من كَذَبَ عَلَى أولياءِ اللهِ":

"هَذَا وإِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ الْآنَ فِيمَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، جَمَاعَاتٌ يَدَّعُونَ أَنَّ للأولياءِ تَصَرُّفَاتٍ فِي حَيَاتِهِمْ، وَبَعْدَ الْمَمَاتِ! وَيُسْتَغَاثُ بِهِمْ فِي الشّدائدِ وَالْمُلِمَّاتِ، وَبِهِمْ تُكَشَفُ الْمُهِمَّاتِ، فَيَأْتُونَ إِلَى قُبُورِهِمْ، وَيُنَادُونَهُمْ فِي قَضَاءِ الْحَاجَاتِ، مُسْتَدَلِّيْنَ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ مِنْهُمْ كرامَاتٍ!

وَقَرَّرَهُمْ عَلَى ذَلِكَ منِ ادَّعَى الْعِلْمَ بِمَسَائِلَ، وَأَمَدَّهُمْ بِفَتَاوَى وَرَسَائِلَ، وَأَثْبَتُوا للأولياءِ -بِزَعْمِهِمْ- الإخبارَ عَنِ الغَيْبِ بِطَرِيقِ الْكَشْفِ لَهُمْ بلاَ رِيبٍ، أَوْ بِطَرِيقِ الإلهامِ أَوْ مَنَامٍ!

وَقَالُوا: مِنْهُمْ: أبدَالٌ، وَنُقَبَاءُ، وأوتادٌ، وَنجباءُ، وَسَبْعَةٌ وَسَبْعُونَ، وأربعةٌ وأربعونَ!

---

[1] - (82/9).

وَالْقُطْبُ هُوَ الْغَوْثُ لِلْنَاسِ! وَعَلَيهِ الْمَدَارُ بلاَ الْتِبَاسٍ، وَجَوَّزُوا لَهُمُ الذَّبائِحَ وَالنُّذُورَ، وَأَثْبَتُوا لَهُمْ فِيهِمَا الأجورَ! وَهَذَا الْكَلاَمُ فِيه تَفْرِيطٌ وإفْراطٌ، بَلْ فِيه الهلاكُ الأبدِيُّ، وَالْعَذَابُ السَّرْمَدِيُّ؛ لـمَا فِيه مِنْ روائحِ الشِّرْكِ الْمُحقَّقِ، وَمُضَادَّةِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ الْمُصَدَّقِ، وَمُخَالِفٌ لِعَقَائِدِ الأئمَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَتْ عَلَيهِ الأمّةُ". اهـ

6 ❍ العلاَّمةُ (محمود شكري الألّوسيّ الحنفيّ)، قالَ في تفسيرِه[1]؛ للآيةِ الكريمةِ:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ﴾[2]:

"وأشنعُ مِنْ ذلكَ: ما يفعلُهُ أبالِسةُ المتصوّفةِ ومردَتُهُمْ، ثمَّ إنَّهُمْ -قبَّحَهُمُ اللهُ تَعالى- إذَا اعْتُرِضَ عليهِمْ بما اشتَمَلَ عليْهِ نشيدُهُمْ من الباطلِ، يقولونَ: نعنِي بالخمرِ: المحبَّةُ الإلهيّةُ! وبالسُّكْرِ: غلبَتُهَا، أو بـ (ميّةَ وليلى وسُعْدَى) -مثلاً-: المحبوبَ الأعظمَ؛ وهوَ اللهُ عَزَّ وجلَّ!

وفي ذلكَ مِنْ سوءِ الأدبِ ما فيهِ!

﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦ ﴾[3]". اهـ[4]

وقالَ:

"ومنَ السَّمَاعِ المحرَّمِ: سماعُ متصوِّفةِ زمانِنَا؛ وإنْ خلاَ عنْ رقْصٍ؛ فإنَّ مفاسدَهُ أكثرُ منْ أن تُحْصَى، وكثيرٌ ممَّا يسمعونَهُ منَ الأشعارِ من أشنعِ ما يُتْلَى، ومعَ هَذَا؛ يعتقدونَهُ قُربةً، ويزعمونَ أنَّ أكثرَهُمْ رغبةً فيهِ أشدُّهُمْ رغبةً أو رهبةً! قاتلَهُمُ اللهُ أنَّى يُؤْفَكُونَ!". اهـ[5]

---

[1] - وهو: (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني).

[2] - [لقمان: 6].

[3] - [الأعراف: 180].

[4] - (72/11).

[5] - (74/11).

(11)

أقوالُ بعضِ المحقِّقينَ من أهْلِ العلْمِ

1 ◆ قولُ (ابنِ حزمٍ) الأندلسيِّ، في كتابِهِ "الفصلُ في المللِ والأهواءِ والنِّحَلِ"، وهوَ يتكلَّمُ عنِ (الصّوفيّةِ) واعتقاداتِهِمُ الباطلةِ:

"فاعلَمُوا -رحِمَكُمُ اللهُ- أنَّ هذهِ كلُّها كُفرَاتٌ صُلَّعٌ! وأقوالُ قومٍ يكيدونَ للإسلامِ!".اهـ[1]

وقالَ -أيضًا-: "وَاعْلَمُوا أَنَّ كلَّ من كفَرَ هَذِهِ الكُفراتِ الْفَاحِشَةَ مِمَّنْ ينتمِي إِلَى الْإِسْلَامِ فَإِنَّمَا عنْصُرُهُمْ (الشِّيعَةُ والصُّوفيَّةُ)! فَإِنَّ منَ (الصُّوفِيَّةِ) من يَقُولُ: أَنَّ من عَرفَ اللهَ تَعَالَى؛ سَقَطَتْ عَنهُ الشَّرَائِعُ! وَزَاد بَعضُهُمْ: واتَّصَلَ باللهِ تَعَالَى!

وبلَغَنَا أَنَّ بنيسابورَ الْيَوْمَ -فِي عصْرِنَا هَذَا- رجلاً يُكَنَّى (أَبَا سعيدٍ أَبَا الْخَيْرِ) هَكَذَا مَعًا؛ من الصُّوفِيَّةِ؛ مرّةً يلبسُ الصُّوفَ، وَمرَّةً يلبسُ الْحَرِيرَ الْمحرَّمَ على الرِّجَالِ! وَمرَّةً يُصَلِّي فِي الْيَوْمِ ألفَ رَكْعَةٍ، وَمرَّةً لَا يُصَلِّي لَا فَرِيضَةً وَلَا نَافِلَةً! وَهَذَا كفرٌ مَحْضٌ! ونعوذُ باللهِ منَ الضَّلالِ".اهـ[2]

2 ◆ الأميرُ (محمّدُ بنُ إسماعيلَ الصّنعانيُّ) -رَحِمَهُ اللهُ-، قالَ في كتابِهِ "سبل السّلام":

"وَعَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آلِهِ وسَلَّمَ، قَالَ:

((الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنْ الْيَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنًى، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ)). -مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ وَاللَّفْظُ لِلْبُخَارِيِّ-:

أَكْثَرُ التَّفَاسِيرِ -وَعَلَيْهِ الْأَكْثَرُ- أَنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا: يَدُ الْمُعْطِي، وَالسُّفْلَى: يَدُ السَّائِلِ.

وَقِيلَ: يَدُ الْمُتَعَفِّفِ وَلَوْ بَعْدَ أَنْ يَمُدَّ إلَيْهِ الْمُعْطِي، وَعُلُوُّهَا مَعْنَوِيٌّ، وَقِيلَ: يَدُ الْآخِذِ لِغَيْرِ سُؤَالٍ، وَقِيلَ: الْعُلْيَا الْمُعْطِيَةُ وَالسُّفْلَى الْمَانِعَةُ.

وَقَالَ قَوْمٌ مِنْ الْمُتَصَوِّفَةِ: الْيَدُ الْآخِذَةُ أَفْضَلُ مِنْ الْمُعْطِيَةِ مُطْلَقًا.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: مَا أَرَى هَؤُلَاءِ إلَّا قَوْمًا اسْتَطَابُوا السُّؤَالَ؛ فَهُمْ يَحْتَجُّونَ لِلدَّنَاءَةِ! وَنِعْمَ مَا قَالَ.

وَقَدْ وَرَدَ التَّفْسِيرُ النَّبَوِيُّ بِأَنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا الَّتِي تُعْطِي وَلَا تَأْخُذُ". اهـ[1]

---

1 - (170/4).

2 - (144-143/4).

وقالَ في رسالةِ "تطهيرِ الاعتقادِ":

"فَإِنْ قُلْتَ: قَدْ يَتَّفِقُ للأحياءِ أَوْ للأمواتِ اتِّصَالُ جَمَاعَةٍ بِهِمْ يفعلونَ خَوَارِقَ مِنَ الأفعالِ، يُتَسَمَّوْنَ بِـ (الْمَجَاذِيبِ)؛ فَمَا حُكْمُ ما يأتونَ بِهِ مِنْ تِلْكَ الأمورِ؟ فَإِنَّهَا مِمَّا جُبِلَتِ الْقُلُوبُ إِلَى الاعتقادِ بِهَا!

قلْتُ: أَمَّا المُتَسَمُّونَ بِـ (الْمَجَاذِيبِ) الّذينَ يَلُوكُونَ لَفْظَ الْجَلاَلَةِ بأفواهِهِمْ، وَيَقُولُونَهَا بألسنتِهِمْ، وَيُخْرِجُونَهَا عَنْ لَفْظِهَا الْعَرَبِيِّ؛ فَهُمْ مِنْ أجنادِ إبليسَ اللَّعِينِ! وَمِنْ أَعِظَمِ حُمرِ الْكَوْنِ الّذينَ أَلْبَسَتْهُمُ الشّيَاطِيْنُ حُلَلَ التَّلبيسِ وَالتَّزْيِينِ, فَإِنَّ إطلاقَ (الْجَلاَلَةِ) مُنْفَرِدًا عَنْ إخبارٍ؛ بقولِهِمْ: "اللهُ اللهُ"! لَيْسَ بِكَلاَمٍ وَلَا تَوْحِيدٍ, وَإِنَّمَا هُوَ تَلاعُبٌ بِهَذَا اللَّفْظِ الشَّرِيفِ؛ بإخراجِهِ عَنْ لَفْظِهِ الْعَرَبِيِّ, ثُمَّ إخلاؤُهُ عَنْ معنًى مِنَ الْمَعَانِي, وَلَوْ أَنَّ رَجَلاً عَظِيمًا صَالِحًا يُسَمَّى: (زَيْدٌ) وَصَارَ جَمَاعَةٌ يَقُولُونَ: "زَيْدٌ زَيْدٌ", لَعُدَّ ذَلِكَ استهزاءً وإهانةً وَسُخْرِيَةً, وَلَا سِيَّمَا إذا زَادُوا إِلَى ذَلِكَ تَحْرِيفَ اللَّفْظِ.

ثُمَّ انْظُرْ هَلْ أَتَى فِي لَفْظَةٍ مِنَ الْكتابِ وَالسُّنَّةِ ذكرُ (الْجَلاَلَةِ) بِانْفِرادِهَا وَتَكْرِيرِهَا؟

أَوِ الّذي فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ هُوَ طَلَبُ الذِّكْرِ وَالتَّوْحِيدِ والتَّسبيحِ؟!

وَهَذِهِ أَذكارُ رَسُولِ اللهِ وأدعيتِهِ وأدعيةِ آلِهِ وأصحابِهِ خَالِيَةٌ مِنْ هَذَا الشَّهِيقِ والنَّهِيقِ وَالنَّعِيقِ, الّذي اعْتَادَهُ مَنْ هُوَ عَنِ اللهِ وَعَنْ هَدْيِ رَسُولِهِ وَسَمْتِهِ ودلِّهِ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ!". اهـ[2]

3 ◆ قالَ الإمَامُ (محمَّدُ بنُ عليٍّ الشَّوكانيُّ) -رَحِمَهُ اللهُ- في كتابِهِ: "الصّوارمُ الحدادُ القاطعةُ لعلائقِ مقالاتِ أربابِ الاتِّحادِ" أبياتًا في ذمِّ (الصّوفيّةِ) ورؤوسِهِمْ؛ حيثُ ذَكَرَ بعضَهُمْ بأسمائِهِمْ، ونَقَلَ -في هَذَا الكتابِ- أقوالَ أهْلِ السُّنّةِ في كتبِ المتصوِّفةِ؛ مثل: "الفتوحات المكّيّة"، و"الفصوص"، و"الإنسان الكامل"، وغيرها.

قال -رَحِمَهُ اللهُ-:

فهُـمُ الّذينَ تَلاعبُوا بينَ الــوَرَى	بالـدِّينِ وانتُدِبُوا لقَـصْدِ خَـرَابِـهِ
وقدْ نَهَـجَ الحلاَّجُ طُرقَ ضَلالِهِـمْ	وكـذَاكَ مُحْيِي الدِّينِ فلاَ حَيًّا بِــهِ
وكـذاكَ فَـارِضُهُــمْ بِتَـائِيَّــاتِــهِ	فَرَضَ الضَّلالَ عليْـهِمُ ودَعَـا بِــهِ

---

[1] - (543/1).

[2] - (86-84/1).

وكذَا ابنُ سبعينَ المهينَ فَقَدْ عَدَا		مُتَطَــوِّرًا في جَـهْـلِــهِ ولعـابِـهِ
رامَ الـــنُّبــوءَةَ لالـعًا لـعثـورِهِ		روم الذّبــابِ مصــيرُهُ كعتابِــــهِ
وكذلكَ الجيـليُّ أجالَ جـــوادَهُ		في ذلكَ الميْــدَانِ ثمَّ سَــعَى بِـــهِ
إنسانُهُ إنسانُ عـــينِ الكـفْـرِ لاَ		يرتَــابُ فيـــهِ سابـــحٌ بِعبابِـــهِ
والتِّلمسانيُّ قـــائلٌ قدْ حَلَّتْ لَـهُ		كــلُّ الفُرُوجِ فـخُذْ بذَا وكَفَى بِــهِ

إلى أنْ قالَ:

قدْ ألْزمـــونا أنْ ندِينَ بكُـفْـرِهــمْ		والكُـفْـرُ شرُّ الخَلْقِ لا يَرْضَى بِـهِ
فَدَعِ التَّعَسُّفَ في التَّأْويلِ لا تَكُنْ		كَفَتًى يُغَطّــي جِـيفَــةً بثيـابِـــهِ

ولَهُ -رَحِمَهُ اللهُ- رسائلَ في نقضِ عقائدِهِمُ الفاسدةِ.

(12)

الإجماعُ عَلَى ضلالِ هذهِ الفرقَةِ!

إنَّ الإجماعَ عَلَى ضَلالِ وانحرافِ هذهِ الفرقةِ عنْ منهجِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، وأصحابِهِ الكرامِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، لَمِنَ الأمورِ المسَلَّمِ بهَا عندَ أهْلِ السُّنّةِ والجماعَةِ أجمعينَ! العالِمِ منهُمْ، والجاهِلِ، وحُكْمُهُمْ عليْهِمْ بذلكَ كإجماعِهِمْ عَلَى حُكْمِ صلاةِ من صلَّى بغيرِ طهارةٍ.

وما مرَّ معكَ من كلامِ الأئمَّةِ والفقهاءِ لأكبرُ شاهدٍ عَلَى ذلكَ؛ ولكنْ -وتَنَزُّلاً- أذْكُرُ لكَ بعضًا منْ أقوالِهِمْ الّتي يتَّضحُ لكَ من خلالِهَا هذا البابَ:

فمنْ ذلكَ: قولُ الإمَامِ (مالكٍ) عندمَا سُئِلَ عنهُمْ وعنْ بعضِ عباداتِهِمْ، فقالَ:

"ما سمعنَا أحدًا منْ أهلِ الإسلامِ يفعلُ هذا!".

وفي جوابٍ: "ويحكَ! ومسلمينَ هُمْ؟!".[1]

و(الشّافعيُّ) يجزمُ بذهابِ عقْلِ مَنْ يُجالِسُهُمْ! و(أحمدُ) يَنْهَى عن مجالَسَتِهِمْ!

إلى غيرِ ذلكَ من أقوالِ أهْلِ العلمِ.

---

[1] - سبق (ص: 18).

وممَّن نَقَلَ (الإجماعَ):

- **الإِمَامُ (أبو الوليدِ أبو بكر الطّرطوشيُّ المالكيُّ)** -المتوفَّ سنةَ (520هـ)-:

فقدْ سُئِلَ -رَحِمَهُ اللهُ- عن (الصّوفيّةِ) وأفعالِهِمْ فقالَ:

"مَذْهَبُ الصُّوفِيَّةِ: بَطَالَةٌ وَجَهَالَةٌ وَضَلَالَةٌ! وَمَا الْإِسْلَامُ إِلَّا كِتَابُ اللهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ"...

إلى أن قالَ:

" وَلَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَحْضُرَ مَعَهُمْ، وَلَا يُعِينَهُمْ عَلَى بَاطِلِهِمْ، هَذَا مَذْهَبُ مَالِكٍ وَأَبِي حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَغَيْرِهِمْ من أئمة المسلمين وبالله التوفيق".[1]

- **الإِمَامُ (أبو العبّاسِ القرطبيُّ)**، صاحبُ كتابِ "المفهم عَلَى ما أشكلَ في مسلم"، قالَ -رَحِمَهُ اللهُ-:

"وأمَّا ما ابتدَعَهُ الصّوفيّةُ في ذلكَ، فمِنْ قبيلِ ما لا يختلفُ في تحريمِهِ، لكنِ النُّفُوسُ الشّهوانيّةُ غَلَبَتْ عَلَى كثيرٍ ممَّنْ يُنْسَبُ إلى الخيرِ؛ حتَّى لقدْ ظهرتْ منهُمْ فعلاتِ المجانينِ والصِّبيانِ! حتّى رقصُوا بحركاتٍ متطابقةٍ، وتقطيعاتٍ متلاحقةٍ! وانتهَى التّواقحُ بقومٍ بينَهُمْ إلى أنْ جعلُوهَا مِنْ بابِ القُرْبِ، وصالحِ الأعمالِ! وأنَّ ذلكَ يُثْمِرُ سنيَّ الأحوالِ! وهذا -عَلَى التّحقيقِ- من آثارِ الزّنادقةِ، وقولِ أهْلِ المخرقةِ! واللهُ المستعانُ".اهـ[2]

(13)

حالُ الصّوفيةِ معَ العِلْمِ الشّرْعيِّ ومكانَتِهِ عندَهُمْ!

⟐ **كلامُ الحافظِ (ابنِ الجوزيِّ)** رَحِمَهُ اللهُ -المتوفَّ سنةَ (597هـ)-:

أمَّا (ابنُ الجوزيِّ) فقدْ ذمَّهُمْ، وألَّفَ كتابَهُ "تلبيس إبليس"، وجعلَ جُلَّ مباحثِهِ في الرَّدِّ عليْهِمْ، فمِنْ كلامِ هذا الإمَامِ:

---

[1] - سبق (ص: 29).

[2] - سبق (ص: 33و 36).

"وكانَ أصلُ تلبيسِهِ -أيْ: الشّيطانُ- عليْهِمْ أنَّهُ صَدَّهُمْ عنِ العلْمِ، وأراهُمْ أنَّ المقصُودَ (العملُ) فلمَّا أطْفَأَ مصباحَ العلْمِ عندهُمْ؛ تخبَّطُوا في الظلمَّاتِ! ...". اهـ[1]

وذكرَ بسنَدِهْ عنْ أبي عبدِ الرَّحمنِ السُّلميِّ أنَّهُ قالَ:

"كانَ أوَّلَ من تكلَّمَ ببلدتِهِ في ترتيبِ الأحوالِ والمقاماتِ: أهْلُ الولايةِ (ذو النّونِ المصريِّ)، فأنكرَ ذلكَ عليْهِ: (عبدُ اللهِ بنُ عبدِ الحَكَمِ)، وكانَ رئيسَ مصرَ، وكانَ يذهبُ مذْهَبَ (مالِكٍ)، وهجَرَهُ لذلكَ -أيْ: ذي النّونِ المصريِّ- علمَاءُ مصرَ؛ لَمَّا شاعَ خبرُهُ أنَّهُ أحدَثَ علمًا لم يتكلَّمْ فيْهِ السَّلَفُ، حتَّى رمَوْهُ بالزّندقةِ".

وقالَ (ابنُ الجوزيِّ) -رَحِمَهُ اللهُ- في نفسِ الكتابِ -هدَانَا ربُّنَا جميعًا للصَّوابِ:

"ليسَ في الوُجُودِ شَيءٌ أشرفُ من العِلْمِ! كيفَ لا؛ وهوَ الدَّليلُ؛ فإذا عُدِمَ وقَعَ الضَّلالُ، وإنَّ مِنْ خَفِيِّ مكائدِ الشَّيطانِ أن يُزيِّنَ في نفسِ الإنسانِ التَّعبدَ ليشغلَهُ عن أفضلِ التَّعبُّدِ؛ وهو (العلمُ)..."، إلى أنْ قالَ:

"دنَتْ حيلةُ إبليسَ إلى جماعةٍ من المتصوِّفَةِ حتَّى مَنَعُوا منْ حمْلِ المحابرِ تلاميذَهُمْ! حتَّى قالَ جعفرُ الخَالدِيُّ: لو تركَني الصّوفيّةُ؛ جئتُكُمْ بإسنادِ الدُّنيا! كتبتُ مجلسًا عنْ أبي العبَّاسِ الدُّوريِّ، فلقِيَني بعضُ الصّوفيّةِ، فقالَ لي: دعْ علْمَ الورَقِ، وعليكَ بعلْمِ الخِرَقِ!

ورأيتُ محبرةً مع بعضِ الصّوفيّةِ، فقالَ لَهُ صوفيٌّ آخرُ: استرْ عورتَكَ!!

وقدْ أنشدُوا للشّبليِّ -قولَهُ-:

إذا طَالبُوني بِعلْمِ الـوَرَقِ   برزْتُ عليْهِمْ بِعلْمِ الخِرَقِ

قالَ ابنُ الجوزيِّ: "وهذَا مِنْ خفيِّ حيَلِ إبليسَ! ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ ﴾"[2]. اهـ

◇ **قولُ الإمَامِ (أبي فارسٍ عبدِ العزيزِ بنِ محمّدٍ القيروانيِّ المالكيِّ)** -المتوفَّ سنة (750 هـ)-، قالَ في الصّوفيّةِ:

"وهذِهِ الطَّائفةُ منْ أصعبِ الطَّوائفِ للعلاجِ! وأبعدِهَا عَنْ فَهْمِ طُرُقِ الاحتجاجِ؛ لأنَّ أوَّلَ أصلٍ أصَّلُوهُ في مذهَبِهِمْ: بغضُ العلماءِ، والتَّنفيرُ عنهُمْ..."[1]

---

[1] - (147/1).

[2] - [سبأ: 20].

◈ **قولُ الإمَامِ (أبي إسحاقَ الشّاطبيِّ المالكيِّ)** -رَحِمَهُ اللهُ- في كتابِهِ "الاعتصام"؛ معلِّقًا عَلَى قولِ محمّدٍ بنِ الفضلِ البلخيِّ:

"ذهابُ الإسلامِ من أربعةٍ: لا يعملونَ بما يعلمونَ، ويعملونَ بما لا يعلمونَ، ولا يتعلَّمونَ ما لا يعلمونَ، ويمنعونَ النّاسَ من العلمِ!".

قالَ (الشّاطبيُّ) معلِّقًا عَلَى هذا القولِ:

"وهذَا ما قالَ هوَ وصفُ صوفيَّتِنَا اليومَ! -عياذًا باللهِ-!".[2]

وهمْ معَ ذلكَ عن العلْمِ بعيدونَ، ومنْهُ منَفِّرونَ، وهذا الّذي جعلَهُمْ في الظلمَّاتِ يتخبَّطُون، واسمعْ إلى شهادةِ ساداتِهِمْ بهذَا، وأمرِهِمْ لأتباعِهِمْ بالبُعْدِ عن العلْمِ:

قالَ (أبو حامدٍ الغزاليِّ) -وهوَ من أئمَّتِهِمْ-:

"اعلَمْ أنَّ ميلَ أهْلِ التّصوّفِ إلى الأَلْهِيةِ دونَ التّعليميَّةِ، ولذلكَ لَمْ يتعلَّمُوا، ولَم يحرصُوا عَلَى دراسةِ العلْمِ، وتحصيلِ مَا صنَّفَهُ المصنِّفُونَ؛ بلْ قالُوا: الطّريقُ: تقديمُ المجاهَدَاتِ بمحْوِ الصِّفَاتِ المذمومَةِ، وقطعِ العلائقِ كلِّهَا، والإقبالِ عَلَى اللهِ تَعَالَى بكُنْهِ الهمَّةِ، وذلكَ بأنْ يقطعَ الإنسانُ همَّهُ من المالِ والولدِ والعلْمِ، ويخلُو نفسَهُ فِي زاويةٍ، ويقتصرُ عَلَى الفرائضِ والرَّواتبِ، ولا يقرنُ همَّهُ بقراءةِ قرآنٍ! ولا بالتَّأمُّلِ فِي نفسِهِ، ولا يكتبُ حديثًا ولا غيرَهُ! ولا يزالُ يقولُ "اللهْ اللهْ اللهْ" إِلَى أنْ ينتهيَ إِلَى حالٍ يتركُ تحريكَ اللِّسانِ، ثم يَمْحِي عَنْ القلبِ صورةَ اللَّفْظِ"!

قالَ ابنُ الجوزيِّ تعليقًا عَلَى هذا الكلامِ: "..إنَّهُ عَلَى الحقيقةِ طيٌّ لبساطِ الشَّرِيعةِ!". اهـ[3]

وقالَ الغزاليُّ -غفرَ اللهُ لَهُ- أيضًا:

"قالَ الجنيدُ: أُحِبُّ للمريدِ المبتدئِ أنْ لا يَشغلَ قلبَه بثلاثٍ، وإلا تغيَّر حالَهُ: التَّكسُّبُ، وطلبُ الحديثِ والتَّزوُّجُ!".

وقالَ -أيْ: الجنيد-: "أُحِبُّ للصُّوفيِّ أنْ لا يكتبَ ولا يقرأَ، لأنَّهُ أجمعُ لهَمِّهِ"![4]

---

[1] - سبق (ص: 32).

[2] - سبق (ص:31).

[3] - انظر: (تلبيس إبليس)، (286/1).

[4] - (الإحياء)، (206/4).

قالَ جعفرُ الخالديِّ: "لو تركَني الصّوفيّةُ جئتُكُمْ بإسنادِ الدُّنيا! كتبتُ مجلسًا عنْ أبي العبَّاسِ الدُّوريِّ، فلقِيَنِي بعضُ الصّوفيّةِ، فقالَ لِي: دعْ علْمَ الورَقِ، وعليكَ بعلْمِ الخِرَقِ!

ورأيتُ محبرةً مع بعضِ الصّوفيّةِ، فقالَ لَهُ صوفيٌّ آخرُ: استرْ عورتَكَ!!

وقدْ أنشدُوا للشّبليِّ –قولَهُ–:

إذا طَالبُونِي بِعِلْمِ الــوَرَقِ   برزْتُ عليْهِمْ بِعِلْمِ الخِرَقِ".[1]

★وهذا سردٌ وجمعٌ لأسماءِ العلمَاءِ الّذينَ ذمُّوا الصّوفيّةَ ورؤوسَ التّصوّفِ:

1: (مالكُ بنُ أنسٍ).

2: (محمّد بنُ إدريس الشّافعيِّ).

3: (أحمدُ بنُ حنبلَ).

4: الإمَامُ (يحيى) تلميذُ مالكٍ بنِ أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

5: الإمَامُ (مروان محمّد الأسد) تلميذُ مالكِ بن أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

13: الإمَامُ (أبو زرعة الرازيِّ).

14: الإمَامُ (سفيان الثّوريّ).

15: الإمَامُ (وكيع بن الجرّاح).

16: الإمَامُ (يحيى بن معاذ).

17: الإمَامُ القاضي (عياض البحصيّ المالكيّ).

18: الإمَامُ (أبو الوليد بن رشدٍ المالكيّ) –توفّي سنة (520هـ)–.

19: الإمَامُ (أبو إسحاق إبراهيم الشّاطبيّ المالكيّ).

20: الإمَامُ (أبو العبّاس القرطبيّ المالكيّ).

21: الإمَامُ (أبو عبد اللهِ القرطبيّ المالكيّ).

22: الإمَامُ (أبو الوليد أبو بكر الطّرطوشيّ المالكيّ) –المتوفّى سنة (520هـ).

---

[1] – سبق (ص: 49).

23: الإمَامُ (شمس الدِّين محمّد بن أحمد القرافيّ المالكيّ) -المتوفَّى سنةَ (367هـ).

24: الإمَامُ (شرف الدِّين عيسى الزواويّ المالكيّ).

25: الإمَامُ (عبدُ اللهِ بن موسى الفشتانيّ المالكيّ).

26: الإمَامُ (عبد الرّحمن بن خلدون المالكيّ).

27: الإمَامُ (ابنُ العربيّ المالكيّ).

28: العلاّمةُ (الأخضريّ المالكيّ) -المتوفَّى سنةَ (899هـ).

29: العلاّمةُ (أبو فارس عبد العزيز بن محمّد القيروانيّ المالكيّ).

30: العلاّمةُ (أحمد بن يحيى الونشريسيّ المالكيّ).

31: الإمَامُ (أبو إسحاق الشّيرازيّ الشّافعيّ).

32: الإمَامُ (الخطّابيّ الشّافعيّ).

33: الإمَامُ (البيهقيّ الشّافعيّ).

34: الإمَامُ (أبو شامة الشّافعيّ).

35: الإمَامُ (تقيُّ الدِّين الحسينيّ الشّافعيّ).

36: الإمَامُ (ظهير الدِّين بن عسكر الشّافعيّ).

37: الإمَامُ (عبد الوهّاب بن وهبان الشّافعيّ).

38: الحافظُ (ابن حجر العسقلانيّ).

39: العلاّمةُ (عبّاس بن منصور السكسكيّ) -المتوفَّى (683هـ)-.

40: العلاّمةُ (برهان الدّين البقاعيّ) -المتوفَّى سنةَ (885هـ).

41: العلاّمةُ (محمود شكري الألوسيّ) -صاحب التّفسير-.

42: العلاّمةُ (أبو حيّان الأندلسيّ).

43: العلاّمةُ (أبو الطّيّب الطّبريّ).

44: العلاّمةُ (زين الدِّين العراقيّ).

45: العلاّمةُ (ابن فرج الجوزيّ الحنبليّ).

46: العلاّمةُ (ابن مفلح المقدسيّ الحنبليّ).

47: الإمَامُ (أبو الحسن الأشعريّ).

48: الإمَامُ (ابن عقيل الحنبليّ).

49: الإمَامُ (شمس الدِّين الذّهبيّ).

50: الإمَامُ (ابن قيّم الجوزيّة)

51: الإمَامُ (ابن بطّة العكبريّ).

52: الإمَامُ (الشّوكانيّ)[1]

53: الإمَامُ (محمّد بن إسماعيل الصّنعانيّ).

54: الإمَامُ (ابن حزم الظّاهريّ).

55: العلاّمةُ (صنع اللهِ بن صنع اللهِ الحنفيّ) –المتوفَّى سنةَ (1120هـ).

56: الإمَامُ (ابن الحاجّ المالكيّ).

57: الإمَامُ (ابن شامة الشّافعيّ).

58: الإمَامُ (محمّد بن عبد الوهّاب).

59: وأبناؤُهُ وتلاميذُهُ؛ فإنَّهُمْ من أشدِّ النَّاسِ تحذيرًا من هذِهِ الفرقةِ الضّالَّةِ المضِلَّةِ!

60: العلاّمةُ (حَمَد بن عتيق).

61: العلاّمةُ (فيصل بن عبد العزيز آل مبارك).

62: العلاّمةُ (عبد الرّحمن بن محمّد بن قاسم).

63: العلاّمةُ (عبد اللهِ القرعاويّ).

64: العلاّمةُ (حافظ الحكميّ).

65: العلاّمةُ (عبد الرّحمن بن ناصر السّعديّ).

66: العلاّمةُ (عبد العزيز السّلمان).

رَحِمَهُمُ اللهُ أَجْمَعينَ.

---

[1] - ولَهُ قصيدةٌ في ذمِّهِمْ، ذكرَ فيها رؤوسَهُمْ بأسمائِهِمْ؛ كـ(ابن عربيّ، وابن الفارض، وابن سبعين، والحلاّج)، وغيرِهِمْ.

★ومن أهْلِ العلمِ المعاصرينَ الّذينَ عُرِفُوا بتحذيرِهِمْ منَ (الصّوفيّةِ) :

1- الإمَامُ (محمّد ناصر الدِّين الألبانيّ) رَحِمَهُ اللهُ.

2- الإمَامُ (عبد العزيز بنُ عبد اللهِ بن باز) رَحِمَهُ اللهُ.

3- الإمَامُ (محمّد بنُ صالح العثيمين) رَحِمَهُ اللهُ.

4- الإمَامُ (مقبل بن هادي الوادعيّ) رَحِمَهُ اللهُ.

5- العلاّمةُ (عبد الرّحمن الوكيل) رَحِمَهُ اللهُ.

6- العلاّمةُ (عبد الرّزّاق العفيفيّ) رَحِمَهُ اللهُ.

7- العلاّمةُ (حامد الفقيهي) رَحِمَهُ اللهُ.

8- العلاّمةُ (عبد اللهِ الغديان) رَحِمَهُ اللهُ.

9- العلاّمةُ (محمّد الأمين الشّنقيطيّ) رَحِمَهُ اللهُ.

10- العلاّمةُ (صالح الفوزان) حفظَهُ اللهُ تَعَالى.

11- العلاّمةُ (ربيع بن هادي المدخليّ) حفظَهُ اللهُ تَعَالى.

12- العلاّمةُ (عبد العزيز آل الشّيخ) حفظَهُ اللهُ تَعَالى.

13- العلاّمةُ (صالح اللّحيدان) حفظَهُ اللهُ تَعَالى.

14- الشّيخُ (صالح آل الشّيخ) حفظَهُ اللهُ تَعَالى.

15- العلاّمةُ (محمّد بن هادي المدخليّ) حفظَهُ اللهُ تَعَالى.

16- الشّيخُ (محمّد بن ربيع المدخليّ) حفظَهُ اللهُ تَعَالى.

17- الشّيخُ (عبد اللهِ بن عبد الرّحيم البخاريّ) حفظَهُ اللهُ تَعَالى.

18- العلاّمةُ (عُبيد الجابريّ) حفظَهُ اللهُ تَعَالى.

19- العلاّمةُ (عبد المحسن العبّاد) حفظَهُ اللهُ تَعَالى.

20- العلاّمةُ (محمّد الوصابيّ العبدليّ) حفظَهُ اللهُ تَعَالى.

21- الشّيخُ (محمّد الإمَام) حفظَهُ اللهُ تَعَالى.

22- الشّيخُ (عبد العزيز البرعيّ) حفظَهُ اللهُ تَعَالى.

23- الشّيخُ (محمّد (الصّوملي) حفظَهُ اللهُ تَعَالى.

24– الشّيخُ (أحمد بازمول) حفظَهُ اللهُ تَعالى.

25– الشّيخُ (محمّد بازمول) حفظَهُ اللهُ تَعالى.

26– الشّيخُ (حسن عبد الوهّاب البنّا مرزوق) حفظَهُ اللهُ تَعالى.

27– العلاّمةُ (محمّد البنّا) رَحِمَهُ اللهُ.

28– العلاّمةُ محمّد السّبيِّل رَحِمَهُ اللهُ.

29– العلاّمةُ (عبد اللهِ بن حميد) رَحِمَهُ اللهُ.

30– العلاّمةُ (محمّد أمَّان الجاميّ) رَحِمَهُ اللهُ.

و غيرُهُمْ كثيرٌ!... وللهِ الحَمْدُ والمنّةُ!

(14)

حكمُ قراءةِ كتبِ أهْلِ البدعِ كـ (الصّوفيّةِ) وغيرِهِمْ!

وبعدَ علمِكِ –أخي القارئ لكريم– بحقيقةِ الصّوفيّةِ! فجديرٌ بكَ أن تعلمَ حكمَ قراءةِ كتبِهِمْ، وكتبِ أمثالِهِمْ من أهلِ البدعِ؛ فلذلكَ، ونظرًا لما في ذلك من أهمّيّةٍ؛ سأنقلُ[1] إليكَ دررًا من كلامِ العلماءِ، أسفرَتْ عن ذاكَ الحكمِ، وبيّنتْ!

فقدْ [حَذَّرَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ مِنْ قراءَةِ كتبِ أهْلِ الكتابِ معَ أنَّهَا لا تخلُو منْ حقٍّ: فعنْ جابرِ بنِ عبدِ اللهِ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا–، أنَّ عمرَ بنَ الخطَّابِ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– أتَى النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ بكتابٍ أصابَهُ مِنْ بعضِ أهلِ الكتابِ، فَغَضِبَ، وقَالَ: ((أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟! وَالّذي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالّذي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي))[2]

---

[1] – هذا النّقلُ من كتاب: (إجماع العلماء على الهجرِ والتّحذير من أهل الأهواء)، للشّيخ: خالد الظفيري –حفظهُ الله–، فصل: (منهج أهل السّنّة في معاملة كتب البدع)، ابتداءً من (ص: 63).

[2] – حديث حسن. انظر: (إرواء الغليل): 1589. للإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ.

بلْ قدْ نَقلَ بعضُ الأئمَّةِ الإجماعَ عَلَى تركِ النَّظرِ في كتبِ أهْلِ البدعِ، ولمْ يقولُوا: خُذِ الحقَّ منهَا واتْركِ الباطلَ!

كمَا قالَ الإمَامُ (ابنُ خزيمة) رَحِمَهُ اللهُ -(ت: 311 هـ)- لمَّا سُئِلَ عنِ الكلامِ في الأسماءِ والصِّفاتِ، فقالَ:

" بِدْعَةٌ ابْتَدَعُوهَا ، وَلَمْ يَكُنْ أَئِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ وَأَرْبَابُ الْمَذَاهِبِ وَأَئِمَّةُ الدِّينِ مِثْلَ مَالِكٍ ، وَسُفْيَانَ ، وَالأَوْزَاعِيِّ ، وَالشَّافِعِيِّ ، وَأَحْمَدَ ، وَإِسْحَاقَ ، وَيَحْيَى بْنِ يَحْيَى ، وَابْنِ الْمُبَارَكِ ، وَمُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى ، وَأَبِي حَنِيفَةَ ، وَمُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ ، وَأَبِي يُوسُفُ ، يَتَكَلَّمُونَ فِي ذَلِكَ ، وَيَنْهُونَ عَنِ الْخَوْضِ فِيهِ ، وَيَدُلُّونَ أَصْحَابَهُمْ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، فَإِيَّاكَ وَالْخَوْضَ فِيهِ ، وَالنَّظَرَ فِي كُتُبِهِمْ بِحَالٍ!".[1]

وكمَا في قولِ الإمَامِ (أبي منصورٍ معمر بنِ أحمدَ) -(ت: 418 هـ)- الّذي رواهُ أبو القاسِمِ الأصفهانيُّ - رَحِمَهُ اللهُ- في كتابِهِ: "الحُجَّةُ في بيانِ المحجَّة"2، ومنْ جملةِ ما قالَهُ:

" ثمَّ مِنَ السُّنّةِ: تركُ الرَّأْيِ والقياسِ في الدِّينِ، وتركُ الجدالِ والخصوماتِ، وتركُ مفاتحةُ القَدَريَّةِ وأصحابِ الكلامِ، وتركِ النَّظَرِ في كتبِ الكلامِ، وكتبِ النُّجومِ، فهذِهِ السُّنّةُ الّتي اجْتمعتْ عليْهَا الأئمّةُ، وهي مأخوذةٌ عن رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، بأمرِ اللهِ تباركَ وتعالى."

وقالَ الفضلُ بنُ زيادٍ: سألتُ أبا عبدَ اللهِ -يعني: أحمدَ بنَ حنبلَ- عنِ (الكرابيسيّ)، وما أظهَرَهُ؟ فكلَحَ وجهُهُ ثمَّ قالَ:

"إنَّما جاءَ بلاؤُهُمْ منْ هذِهِ الكتبِ الّتي وضعُوها، تركُوا آثارَ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، وأصحابِهِ، وأقبلُوا عَلَى هذِهِ الكتبِ!".[3]

وقالَ المروذيُّ: "قلتُ لأبي عبدِ اللهِ: استعرتُ كتابًا فيهِ أشياءَ رديئةً، ترَى أنْ أخرقَهُ أوْ أحرِقَهُ؟ قالَ: نعمْ".

قالَ المروذيُّ: "قالَ أبو عبدِ اللهِ: يضعُونَ البدعَ في كتبِهِمْ! إنَّمَا أُحَذِّرُ منْهَا أشدَّ التَّحذيرِ".[4]

---

[1] - (الاستقامة)، للإمام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ (108/1).

[2] - (231/1-242).

[3] - (المعرفة والتاريخ) للفسوي، (494/3).

[4] - (هداية الأريب الأمجد)، لسليمان بن حمدان، (ص: 38).

وقال الإمَامُ أحمدُ -أيضًا-: "إيَّاكُمْ أنْ تَكْتُبُوا عَنْ أحدٍ منْ أصحابِ الأهواءِ قليلاً ولا كثيرًا! عليكُمْ بأصحابِ الآثارِ والسُّنَنِ".[1]

وعنْ حربِ بنِ إسماعيلَ قالَ: سألتُ إسحاقَ بن راهَوْيةَ، قلتُ: رجلٌ سرقَ كتابًا مِنْ رجلٍ فيْهِ رأيُ جَهْمٍ، أو رأيِ القَدَرِ؟ قالَ: يَرْمِي بِهِ. قلتُ: أنَّهُ أخذَ قَبْلَ أن يحرِقَهُ أو يرمِيَ بِهِ؛ هلْ عليْهِ قطعٌ؟ قالَ: لا قطعَ عليْهِ.

قُلْتُ لإسحاقَ: رجلٌ عندَهُ كتابٌ فيْهِ رأيُ الإرجاءِ أوِ القَدَرِ، أو بدعةٌ، فاستعرتُهُ منْهُ، فلمَّا صارَ في يدِي أحرقْتُهُ أو مزَّقْتُهُ؟ قالَ: ليسَ عليْكَ شيءٌ".[2]

وقالَ الإمَامُ مالكٍ – رَحِمَهُ اللهُ–:

"لا تجوزُ الإجارَاتُ في شيءٍ من كتبِ الأهواءِ والبدعِ والتَّنجيمِ".[3]

وقالَ الإمَامُ أبو نصرٍ عبيدُ اللهِ بنُ سعيدٍ السِّجزيِّ في (رسالتِهِ إلى أهْلِ زبيدَ)[4]:

"فمَنْ رامَ النَّجَاةَ من هؤلاءِ، والسَّلامَةِ من الأهواءِ، فليكُنْ ميزانُهُ:

(الكتابُ) و(الأثرُ) -في كلِّ مَا يسمعُ ويرَى؛ فإنْ كانَ عالمًا بهِمَا عرَضَهُ عليْهِمَا- و(اتِّباعُهُ للسَّلفِ)، ولا يقبلُ من أحدٍ قولاً إلاَّ طالبَهُ عَلَى صحَّتِهِ بآيةٍ محكمةٍ، أو سُنَّةٍ ثابتةٍ، أو قولِ صحابِيٍّ من طريقٍ صحيحٍ ... ولْيحذَرْ تصانيفَ من تغيَّرَ حالُهُمْ؛ فإنَّ فيهَا العقاربُ، وربَّمَا تعذَّرَ التِّرياقُ!".[5]

وقالَ ابنُ قدامةَ – رَحِمَهُ اللهُ–:

"ومنَ السُّنَّةِ هجرانُ أهْلِ البدعِ، ومبايَنَتِهِمْ، وترْكِ الجدَالِ والخصُومَاتِ في الدِّينِ، وترْكِ النَّظَرِ في كتبِ المبتدعَةِ، والإصغاءِ إلى كلامِهِمْ، وكلُّ محدَثَةٍ في الدِّينِ بدعةٌ".[6]

---

[1] – (السير)، (231/11).
[2] – (السّنة)، (511/3).
[3] – (جامع بيان العلم)، (942/2).
[4] – (رسالة السجزيِّ إلى أهل زبيد في الردِّ على من أنكرَ الحرفَ والصَّوت).
[5] – (360/1- 363).
[6] – (لمعة الاعتقاد)، (ص: 33).

وقالَ العلاَّمةُ (ابنُ مفلحٍ) في كتابِهِ "الآداب الشرعية":

"وَذَكَرَ الشَّيْخُ مُوَفَّقُ الدِّينِ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي الْمَنْعِ مِنْ النَّظَرِ فِي كُتُبِ الْمُبْتَدِعَةِ. قَالَ: كَانَ السَّلَفُ يَنْهَوْنَ عَنْ مُجَالَسَةِ أَهْلِ الْبِدَعِ، وَالنَّظَرِ فِي كُتُبِهِمْ، وَالِاسْتِمَاعِ لِكَلَامِهِمْ!".[1]

ونقلَ (تقيُّ الدِّينِ الفاسيُّ) في كتابِهِ "العقد الثّمين في تاريخ البلد الأمين" عنِ الشَّيخِ (شرفِ الدِّينِ عيسَى الزَّواويِّ المالكيِّ -(ت: 743 هـ)- ما نصُّه:

"ويجبُ عَلَى وليِّ الأمْرِ إذَا سمِعَ بمثْلِ هذَا التَّصنيفِ -أيْ: مؤلَّفاتِ ابنِ عربيٍّ كـ "الفصوص" و"الفتوحات المكيّة"- البحثُ عنْهُ، وجمعُ نُسَخِهِ، حيثُ وجدَهَا، وإحراقُهَا، وأدَّبَ من اتُّهِمَ بهذَا المذهبِ، أو نُسِبَ إليْهِ، أو عُرِفَ بِهِ، عَلَى قدْرِ قوَّةِ التُّهْمَةِ عليْهِ، إذَا لم يثبُتْ عليْهِ، حتَّى يعرفَهُ النَّاسُ ويحذَرُوهُ، واللهُ وليُّ الهدايةِ بمنِّهِ وفضلِهِ".[2]

ويُستثْنَى من ذلكَ: من قرأَهَا للرَّدِّ عَلَى ما فيهَا من باطلٍ؛ فقطْ، لا غيرَ!

قالَ العلاَّمةُ الشَّيخُ (محمّدُ بنُ صالحٍ العثيمينَ) -رَحِمَهُ اللهُ-:

"ومنْ هجرَانِ أهْلِ البدَعِ:

تركُ النَّظَرِ في كُتُبِهِمْ خوفًا منَ الفتنةِ بها! أو ترويجِهَا بينَ النَّاسِ، فالابتعادُ عنْ مواطنِ الضَّلالَ وَاجِبٌ؛ لقولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، في الدَّجَّالِ:

((مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ، فَوَاللهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ، مِمَّا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ))[3]

لكنْ إذا كانَ الغرضُ من النَّظَرِ في كتُبِهِمْ: معرفةَ بدعتِهِمْ للرَّدِّ عليْهِا؛ فلا بأسَ بذلكَ لمنْ كانَ عندَهُ من العقيدةِ الصَّحيحةِ ما يتحصَّنُ بِهِ، وكانَ قادرًا عَلَى الرَّدِّ عليْهِم، بلْ ربَّما كانَ واجبًا؛ لأنَّ ردَّ البدعةِ واجبٌ، وما لا يتمُّ الواجبُ إلاَّ بِهِ فهوَ واجبٌ".[4]

---

[1] - (1/ 232).

[2] - (2/176- 177).

[3] - رواه أبو داود، وقالَ الألباني: "وإسناده صحيح".

[4] - (مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين)، (5/89).

وسُئِلَ الشّيخُ (صالحٌ الفوزان) –حفظه اللهُ–:

"ما هوَ القولُ الحقُّ في قراءَةِ كتبِ المبتَدِعَةِ، وسماعِ أشْرطَتِهِمْ؟

فأجابَ: لا يجوزُ قراءةُ كتبُ المبتدِعَةِ، ولا سماعُ أشْرِطَتِهِمْ؛ إلاَّ لمنْ يريدُ أنْ يردَّ عليْهِمْ، ويبيِّنُ ضلالَهُمْ"[1].اهـ][2].

قالَ الإمَامُ (شمسُ الدِّينِ الذَّهبيِّ) في "السِّيرِ":

قالَ –رَحِمَهُ اللهُ–: بعدْ أنْ ذكرَ بعضَ كتبِ أهْلِ الضَّلالِ:

"فَالحذَارَ الحذَارَ! مِنْ هَذِهِ الكُتُب، وَاهرُبُوا بدينكُم مِنْ شُبَهِ الأَوَائِل، وَإِلاَّ وَقعتُم فِي الحَيْرَة، فَمَنْ رَام النَّجَاةَ وَالفوز، فَليلزمِ العُبُوديَّة، وَليُدْمِنِ الاسْتغَاثَةَ بِاللهِ، وَليبتهِلْ إِلَى مَوْلاَهُ فِي الثَّبَاتِ عَلَى الإِسْلاَمِ وَأَنْ يُتوفَّ عَلَى إِيْمَانِ الصَّحَابَة، وَسَادَةِ التَّابِعِيْنَ، وَاللهُ الْمُوفق..".اهـ[3]

وقالَ (أبو عبدِ اللهِ بنُ مفلحٍ):

"وقدْ نصَّ الإمَامُ (أحمدُ) –رَحِمَهُ اللهُ– عَلَى المنعِ من النَّظَرِ في كتبِ أهْلِ الكلامِ والبدعِ المضلَّةِ، وقراءَتِهَا وروايتِهَا".

رسالةُ الشّيخِ (عبدِ اللَّطيفِ بنِ عبد الرَّحمنِ آلِ الشَّيخِ) –(1225-1293هـ)– إلى عبدِ اللهِ بنِ معيذر، وكانَ قدْ بلغَ الشَّيخَ أنَّهُ يشتغلُ بكتابِ "الإحياءِ" للغزاليِّ، ويقرأُ فيْهِ عندَ العامَّةِ:

"منْ عبدِ اللَّطيفِ بنِ عبدِ الرَّحمنِ، إلى الأخِ عبد اللهِ:

سلامٌ عليكُمْ ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ

وبعدُ:

فقدْ بلغَنِي عنكَ ما يشغلُ كلُّ منْ لَهُ حميَّة إسلاميّة، وغيرة دينيّة عَلَى الملَّةِ الحنيفيَّةِ، وذلكَ أنَّكَ اشتغَلْتَ بالقراءةِ في كتابِ "الإحياء" للغزاليِّ، وجمعت عليْهِ منْ لديكَ من الضُّعفاءِ والعامَّةِ الّذينَ لا تَمْيِيزَ لَهُم بينَ مسائلِ الهدايةِ والسّعادةِ، ووسائلِ الكفرِ والشَّقاوةِ"... إلى أنْ قالَ:

---

[1] – (الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة)، (ص: 70).

[2] – انتهى النّقل من كتاب: (إجماع العلماء على الهجر والتّحذير من أهل الأهواء)، للشيخ: خالد الظّفيري – حفظهُ اللهُ–. (ص: 63– 85)، بتصرف يسير.

[3] – (19/328– 329).

"وقدْ حذَّرَ أهْلُ العلمِ والبصيرةِ عن النَّظرِ فيها، ومطالعةِ خافيهَا وباديهَا، بلْ أفتَى بتحريقِهَا علمَاءُ المغربِ ممَّنْ عُرفَ بالسُّنّةِ، وسمَّاهَا كثيرٌ منهُمْ: "إماتةُ علومِ الدِّين"! وقامَ (ابنُ عقيلٍ) أعظمَ قيامٍ في الذَّمِّ والتَّشنيعِ، وزيفِ ما فيهِ من التَّمويهِ والتَّرقيعِ! وجزمَ بأنَّ كثيرًا منْ مباحثِهِ: زندقةٌ خالصةٌ! لا يُقْبَلُ لصاحبِهَا صرفٌ ولا عدلٌ". اهـ[1]

وقالَ العلاَّمةُ (صدِّيق حسن خان) – رَحِمَهُ اللهُ-:

"ومنَ السُّنّةِ: هجرانُ أهْلِ البدعِ، ومبايَنَتِهِمْ، وترْكُ الجدَالِ والخصُومَاتِ في الدِّينِ والسُّنّةِ، وكلُّ محدثةٍ في الدِّينِ بدعةٌ، وترْكُ النَّظَرِ في كتبِ المبتدعَةِ، والإصغاءِ إلى كلامِهِمْ في أصولِ الدِّينِ وفروعِهِ، كالرَّافضةِ والخوارجِ والجهميَّةِ والقدَريَّةِ، والمرجئَةِ، والكرَّاميَّةِ، والمعتزلةِ، فهذِهِ فرقُ الضّلالةِ، وطرائقُ البدعِ!"[2].

نُقِلَ عنْ أبي حاتمٍ الرَّازيِّ –رَحِمَهُ اللهُ– أنَّهُ قالَ:

"مذْهبُنا وَاخْتِيَارُنَا اتّباعُ رَسُولِ اللهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، وأصْحَابِهِ، وَالتَّابِعِينَ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ بإحسانٍ، وَالتَّمَسُّكُ بمذهبِ أهْلِ الأثرِ، وَلُزُومُ الكتابِ وَالسُّنَّةِ، وَالذَّبُّ عَنِ الأئمَّةِ الْمُتَّبِعَةِ لآثارِ السَّلْفِ، وَاخْتِيَارُ مَا اخْتَارَهُ أهْلُ السُّنَّةِ مِنَ الأئمَّةِ فِي الأمصارِ، وَتَرْكُ النَّظَرِ فِي كُتُبِ الكرابيسيِّ، وَمُجَانبَةُ مِنْ يُنَاضِلُ عَنْهُ مِنْ أَصحَابِهِ!". اهـ

كلامُ (أبي محمّدٍ عبدِ الرَّحْمنِ بن أبي حاتمٍ):

قالَ أبو محمَّدٍ:

وسمعتُ أبي وأبا زرعَةَ؛ يأمرانِ بهجرانِ أهْلِ الزَّيغِ والبدعِ، ويغلِّظَانِ في ذلكَ أشدَّ التَّغليظِ، وينكرانِ وضعَ الكتبِ برأْيٍ في غيرِ آثارٍ، وينهيانِ عن مجالسةِ أهْلِ الكَلامِ، والنَّظرِ في كتبِ المتكَلِّمينَ، ويقولانِ: لا يفلحُ صاحبُ كلامٍ أبدًا!

قالَ أبو محمَّدٍ: وبِهِ أقولُ أنَا".

---

[1] – (مجموعة الرسائل والمسائل النجدية لبعض علماء نجد الأعلام)، (1/130-131).

[2] – (قطف الثّمر في عقيدة أهل الأثر)، (ص: 157).

(15)

حكمُ حَرْقِ وإتلافِ كتبِ أهْلِ البدعِ ومنْهَا كتبُ (الصّوفيّةِ)!

ولـمَّا كانَتْ كتبُ أهْلِ البدعِ مملوءةً بالباطلِ! حذَّرَ منها السَّلفُ –كمَا مرَّ معكَ من كلامِ أبي زرعةَ– وجاءَ الكلامُ عنهُمْ وعمّنْ سارَ عَلَى نهجِهِمْ، واقتفَى آثارَهُمْ بالأمرِ بحرقِهَا وإتلافِهَا؛ لـمَا فيهَا من الضَّررِ عَلَى الدِّينِ، وافسادِ عقائدِ المسلمينَ!

فهَا هوَ ذا الإمَامُ (الطّرطوشيُّ أبو الوليدِ أبو بكرٍ المالكيِّ) يُفْتِي بحرقِ وإتلافِ كتابِ "إحياءِ علومِ الدِّينِ"، للغزاليِّ، ويقولُ فيهِ: "وهوَ لَعَمْرُ اللهِ! أشبَهُ بـ: إماتةِ الدّين"!

وها هوَ القاضِي (عياض اليحصبيّ) –شيخُ المالكيّةِ في زمانِهِ– يقولُ في (الغزاليِّ) وكتبِهِ ما يلي:

"الشَّيخُ (أبو حامدٍ الغزاليِّ) ذو الأنباءِ الشَّنيعةِ، والتَّصانيفِ الفظيعةِ، غلاَ فِي التَّصوُّفِ، وأخذَ عليْهِ فيهَا، وتجرَّدَ لنصرةِ مذهبِهِمْ، حتَّى صارَ داعيةً لذلكَ! وألَّفَ فيه توالفيهُ المشهورةَ مواضع وساءتْ به ظنونُ الأمَّةِ، واللهُ أعلمُ بسرِّهِ، ونفذَ أمرُ السُّلطانِ عندنَا بالمغربِ بإحراقِهَا والبعدِ عنهَا –أيْ: كتب الغزاليّ– فامتثلَ لذلكَ".

قالَ (ابنُ خلدونَ المالكيِّ) –رَحِمَهُ اللهُ– في كتابِ "العقد الثّمين" للفاسيّ:

"وأمَّا حكمُ هذهِ الكتبِ المتضمِّنَةِ لتلكَ العقائدِ المضلَّةِ، وما يوجدُ من نسخِهَا بأيدِي النَّاسِ، مثل: "الفصوص والفتوحات المكّيّة"، لابن عربيٍّ، و(البد) لابنِ سبعين، و"خلع النّعلين" لابنِ قسي، و"عين اليقين" لابن برجان، وما أجدرَ الكثيرَ من شعرِ (ابن الفارضِ) و(العفيف التّلمسانيّ)، وأمثالهمَا أنْ يُلْحَقَ بهذِهِ الكتبِ!

وكذا: (شرحُ ابن الفرغانيّ للعقيدةِ التّائيّةِ) من نظمْ (ابنِ الفارضِ)، فالحكمُ فِي هذهِ الكتبِ وأمثالِهَا: إذهابُ أعيانِهَا –متى وُجِدَتْ– بالتَّحريقِ بالنَّارِ والغُسْلِ بالماءِ، حتّى ينمحِي أثرُ الكتابِ؛ لِمَا فِي ذلكَ من المصلحةِ العامَّةِ فِي الدِّينِ؛ بمحوِ العقائدِ المختلفةِ، فيتعيَّنُ عَلَى وليِّ الأمرِ إحراقُ هذِهِ الكتبِ؛ دفعًا للمفسدةِ العامَّةِ، ويتعيَّنُ عَلَى من كانَتْ عندَهُ التَّمكينَ منهَا للإحراقِ"[1] ا.هـ

---

[1] - (6/180-181).

وهذِهِ الكتبُ الّتي ذكَرَهَا (ابنُ خلدون)؛ هيَ كتبُ رؤوسِ المتصوّفةِ وغلاتِهِمْ!

وقالَ (راشدُ بنُ أبي راشدٍ الوليديّ) المالكيّ -المتوفّى سنةَ (675هـ)- في كتابِهِ "الحلال والحرام"، أنَّهُ سمعَ الإمَامَ (عبدَ اللهِ بنَ موسى الفشتاليّ) المالكيِّ، يقولُ:

"لوْ وجدتُ تآليفَ القشيريِّ لجمعتُهَا وألقَيْتُهَا بالبحرِ!

قالَ: وكذلكَ كتبُ الغزاليِّ.

قالَ: وسمعتُه يقولُ: إنِّي لأتمنّى عَلَى اللهِ أنْ أكونَ يومَ الحشرِ مع (أبي محمّد بنِ أبي زيدٍ) –أيْ: –القيروانيّ– لا مع الغزاليّ"[1].

وقال الإمَامُ العلاّمةُ (شمسُ الدِّينِ ابنُ القيِّمِ) –رَحِمَهُ اللهُ–:

"لَا ضَمَانَ فِي تَحْرِيقِ الْكُتُبِ الْمُضِلَّةِ وَإِتْلَافِهَا"[2]

وقال –أيضًا–: "وَكُلُّ هَذِهِ الْكُتُبِ الْمُتَضَمَّنَةِ لِمُخَالَفَةِ السُّنَّةِ: غَيْرُ مَأْذُونٍ فِيهَا، بَلْ مَأْذُونٌ فِي مَحْقِهَا وَإِتْلَافِهَا، وَمَا عَلَى الْأُمَّةِ أَضَرُّ مِنْهَا، وَقَدْ حَرَقَ الصَّحَابَةُ جَمِيعَ الْمَصَاحِفِ الْمُخَالِفَةِ لِمُصْحَفِ عُثْمَانَ، لَمَّا خَافُوا عَلَى الْأُمَّةِ مِنْ الِاخْتِلَافِ، فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا هَذِهِ الْكُتُبَ الَّتِي أَوْقَعَتْ الْخِلَافَ وَالتَّفَرُّقَ بَيْنَ الْأُمَّةِ"[3]

وقالَ –كذلكَ–:

"وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ هَذِهِ الْكُتُبَ الْمُشْتَمِلَةَ عَلَى الْكَذِبِ وَالْبِدْعَةِ يَجِبُ إتْلَافُهَا وَإِعْدَامُهَا، وَهِيَ أَوْلَى بِذَلِكَ مِنْ إتْلَافِ آلَاتِ اللَّهْوِ وَالْمَعَازِفِ، وَإِتْلَافِ آنِيَةِ الْخَمْرِ، فَإِنَّ ضَرَرَهَا أَعْظَمُ مِنْ ضَرَرِ هَذِهِ، وَلَا ضَمَانَ فِيهَا، كَمَا لَا ضَمَانَ فِي كَسْرِ أَوَانِي الْخَمْرِ وَشَقِّ زِقَاقِهَا"[4].

وقالَ –رَحِمَهُ اللهُ– عندَ قولِ (كعبِ بن مالكٍ): (فتيمَّمْتُ بالصَّحيفةِ التَّنُّورَ):

"...وفِيهِ: الْمُبَادَرَةُ إِلَى إِتْلَافِ مَا يُخْشَى مِنْهُ الْفَسَادُ وَالْمَضَرَّةُ فِي الدِّينِ، وَأَنَّ الْحَازِمَ لَا يَنْتَظِرُ بِهِ وَلَا يُؤَخِّرُهُ، وَهَذَا كَالْعَصِيرِ إِذَا تَخَمَّرَ، وَكَالْكِتَابِ الَّذِي يُخْشَى مِنْهُ الضَّرَرُ وَالشَّرُّ، فَالْحَزْمُ الْمُبَادَرَةُ إِلَى إِتْلَافِهِ وَإِعْدَامِهِ"[1].

---

[1] – (نيل الابتهاج بتطريز الديباج)، (ص: 117).

[2] – (الطرق الحكمية)، (233/1).

[3] – المصدر السابق، (234/1).

[4] – (الطرق الحكمية)، (235/1).

مباهلَةُ الحافظِ (ابنِ حجرَ) لَهُم: -ومعلومٌ ما ينتجُ عن المباهلةِ!-

فقدْ ذكَرَ الإمَامُ (السَّخاويُّ) في كتابِهِ "الجواهر والدّرر"، في ترجمةِ الحافظِ (ابنِ حجرَ) أنَّ الحافظَ (ابنَ حجرَ) -رَحِمَهُ اللهُ- جرتْ بينَهُ وبينَ (الصّوفيّةِ) أتْباَعِ (ابنِ عربيٍّ الطائيِّ) الّذي حَكَمَ عليْهِ الكثيرُ من العلمَاءِ بالكفْرِ؛ حتَّى ألَّفَ الإمَامُ (برهان الدِّين البقاعيّ) كتابًا فيه سمَّاهُ: "تنبيهُ الغبيِّ ابنِ عربيٍّ وأنصارِهِ من ابنِ حجرٍ"، وأرادُوا أن يرفعُوا أمرَهُ للسُّلطانِ، وأنَّهُ يذكرُ الصَّالحينَ بسوءٍ".

وهذا حالُهُمْ واللهِ! يتعاونونَ مع كلِّ أحدٍ؛ حتَّى إنَّهُمْ ساندُوا التَّترَ والفرنسيِّينَ، وغيرَهُمْ من أعداءِ الإسلامِ؛ فضلاً عنْ أئمَّةِ الجورِ والظُّلمِ! ولا يخفَى علَى كلِّ مسلمٍ ما هوَ حالُهُمْ في عصرِ (معمر القذافيّ)، عاملَهُ الله بما يستحقّ.

فقالَ الإمَامُ (ابنُ حجرَ):

"ما السُّلْطانُ في هذا مدخلٌ؛ لكنْ تعالَ نتباهلُ؛ فقلَّمَا تباهلَ اثنانِ فكانَ أحدُهمَا كاذبًا؛ إلاَّ وأصيبَ! فأجابَ ذلكَ، وعلَّمَهُ (الحافظُ) أنْ يقولَ:

"اللَّهمَّ! إنْ كانَ (ابنُ عربيٍّ) عَلَى ضلالٍ فالْعَنِّي بلعنتِكِ!

وقالَ (ابنُ حجرٍ): "اللَّهمَّ! إنْ كانَ (ابنُ عربيٍّ) عَلَى هدًى فالْعَنِّي بلعنتِكِ! وافترقَا.

وكانَ المعاندُ يسكنُ الرَّوضةَ، فاستضافَهُ شخصٌ من أبناءِ الجنودِ، جميلُ الصُّورةِ، ثمَّ بدَا لَهُ أنْ يتركَهُمْ، ويخرجَ في أوَّلِ اللَّيلِ مصمِّمًا عَلَى عدمِ المبيتِ، فخرَجُوا يشيِّعونَهُ إلى الشَّختُورِ، فلمَّا رجعَ الرَّجلُ أحسَّ بشيءٍ مرَّ عَلَى رِجْلِهِ، فقالَ لأصحابِهِ: "مرّ عَلَى رِجْلِي شيءٌ ناعمٌ!"، فنظرُوا فلمْ يرَوْا شيئًا، وما رَجعَ إلى بيتِهِ إلاَّ وهوَ أعمى! وما أصبحَ إلاَّ ميتًا! وكانَ ذلكَ في سنةِ (797هـ)، في: ذي القعدةِ، والمباهلَةُ كانَتْ في شهرِ رمضانَ!

قالَ السَّخَاويُّ: وكانَ شيخُنَا (ابنُ حجرَ) عند المباهلةِ عرَّفَ من حضرَ -أيْ: المباهلة- أنَّ منْ كانَ مبطلاً في المباهلةِ لا تمضِي عليْهِ سنةٌ!". انتهى كلامُ السّخاويِّ[2].

---

[1] - (زاد المعاد في هدي خير العباد)، (3/ 905).

[2] - بتصرف يسير.

(16)

الرَّدُّ عَلَى شبهةِ: الصّوفيّةُ يستدِلُّون بالقرآنِ والأحاديثِ عَلَى ما يفعلونَ!

فهذه شبهةٌ مطروحةٌ على أرضِ الواقعِ، وقعَ فيها بعضُ منِ اغترّ بالصّوفيّةِ؛ ألاَ وهيَ: أنَّ الصّوفيَّةَ يستدِلُّونَ بالقرآنِ والأحاديثِ عَلَى ما يفعلونَ!

ومن ذلكَ –مثلاً–:

1) نزولُ الملائكةِ عَلَى (مشايخِهِمْ)! يستدلّونَ عليْهَا بقولِهِ تَعَالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾[1] الآية

2) الحضرةُ ومجالسُ الذِّكْرِ! يستدلّونَ عليْهَا بقولِهِ تَعَالى:

﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾[2] ونحوِهِ منَ الآياتِ والأحاديثِ الّتي فيهَا الحثُّ عَلَى ذكرِ اللهِ.

3) التَّمايلُ وهزُّ الأكتافِ والرُّؤوسِ أثناءَ إنشادِ الأذكارِ والقصائدِ!

يستدلّونَ عليْهَا بقولِهِ تَعَالى: ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾[3]

4) الدُّعاءُ بعدَ الصّلاةِ: يستدلّونَ عليْهِ بقولِهِ تَعَالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[4]، ونحوِ ذلكَ من الآياتِ والأحاديثِ.

والجوابُ عَلَى هذِهِ الشُّبهةِ منْ وجوهٍ:

أوَّلاً: هلْ فَهْمُ الصَّحابَةِ من الآياتِ هو ما فهِمَهُ منها الصّوفيّةُ؟

الجوابُ: لا!

ثانيًا: اعلَمْ –هداكَ اللهُ للحقِّ وثبَّتَكَ عليْهِ– أنَّ أعْلَمَ النَّاسِ بالقرآنِ بعدَ منْ نزَلَ عليْهِ القرآنُ–وهوَ نبيُّنَا محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ– همُ الصَّحابةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أجمعينَ؛ ذلكَ لأنَّهُم: أَخَذُوا القرآنَ مباشرةً من نبيِّهِمْ، والقرآنُ نزلَ بلغتِهِمْ، وهمْ –أيضًا– من نقلَ القرآنَ والسُّنّةَ إلى غيرِهِمْ، ولا

---

[1] – [فصلت: 30]

[2] – [البقرة: 152]

[3] – [النساء: 130]

[4] – [غافر: 60].

هدايةَ ولا فلاحَ في فهْمِ القرآنِ والسُّنّةِ، وتطبيقِهِمَا عَلَى خلافِ فهْمْ الصَّحابةِ! ومنْ خالفَ ذلكَ؛ ضلَّ وغوَى، ولا محالَةَ!

وقدْ قالَ النَّبيُّ –صلَواتُ اللهِ عليْهِ– في مصداقِ ذلكَ:

((وَإِنَّ أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ، إِلَّا وَاحِدَةً))، فسُئِلَ عنْها: ما هيَ يا رسولَ اللهِ؟ فقالَ: ((الْجَمَاعَةُ))[1]، وفي روايةٍ: ((مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي)).

وقدْ أوصَى الصَّحابَةُ –أنفسُهُمْ– بذلكَ؛ فقدْ أخرجَ اللاَّلكائيُّ عن ابنِ مسعودٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا– قالَ: "اتَّبِعُوا ولا تَبْتَدِعُوا؛ فَقَدْ كُفِيتُمْ"[2].

زادَ محاضرٌ –أحدُ الرّواةِ–: و"كلُّ بدعةٍ ضلالةٌ".

وأخرجَ عنْهُ –أيضًا– أنَّهُ قال:

"إنَّا نقتدِي ولا نبتدِي، ونتَّبعُ ولا نبتَدِعُ، ولنْ نضلَّ ما تمسَّكْنَا بالأثرِ".

وأخرجَ أبو نعيمٍ عن ابنِ عمرَ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا– قالَ:

"مَنْ كَانَ مُسْتَنًّا فَلْيَسْتَنَّ بِمَنْ قَدْ مَاتَ! أُولَئِكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ؛ كَانُوا خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ، أَبَرَّهَا قُلُوبًا، وَأَعْمَقَهَا عِلْمًا، وَأَقَلَّهَا تَكَلُّفًا، قَوْمٌ اخْتَارَهُمُ اللهُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، وَنَقْلِ دِينِهِ، فَتَشَبَّهُوا بِأَخْلَاقِهِمْ وَطَرَائِقِهِمْ، فَهُمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ".

ويقولُ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا– مبيِّنًا (منهجَ الصّحابةِ) في ذلك:

"مَنْ كَانَ مُسْتَنًّا فَلْيَسْتَنَّ بِمَنْ قَدْ مَاتَ! أُولَئِكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، كَانُوا خَيْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ، أَبَرَّهَا قُلُوبًا، وَأَعْمَقَهَا عِلْمًا، وَأَقَلَّهَا تَكَلُّفًا، قَوْمٌ اخْتَارَهُمُ اللهُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، وَنَقْلِ دِينِهِ، فَتَشَبَّهُوا بِأَخْلاقِهِمْ وَطَرَائِقِهِمْ، فَهُمْ كَانُوا عَلَى الْهَدْيِ الْمُسْتَقِيمِ"[3].

وعنِ الحسَنِ البصريِّ –رَحِمَهُ اللهُ– قالَ:

"لَوْ أَنَّ رَجُلاً أَدركَ السَّلفَ الأَوَّلَ ثم بُعِثَ اليومَ؛ ما عَرَفَ منَ الإسلامِ شيئًا!

---

[1] – سبق تخريجه (ص: 14).

[2] – سبق (ص: 15).

[3] – أخرجه البغويُّ في (شرح السُّنّة)، (214/1)، وابنُ عبد البرّ في (جامع بيان العلم)، (947/2).

قالَ: ووضعَ يدَهُ عَلَى خدِّه ثمَّ قالَ: إلاَّ هذِهِ الصلاةَ، ثمَّ قالَ: أمَّا واللهِ! ما ذلكَ لمن عاشَ في هذِهِ النكراءِ، ولم يدركْ هذا السَّلفَ الصالحَ ؛ فرأَى مبتدعًا يدعُو إلى بدعتِهِ، ورأَى صاحبَ دنيَا يدعُو إلى دنياهُ، فعصمهُ اللهُ من ذلكَ، وجعلَ قلبَهُ يحنُّ إلى ذلكَ السَّلفِ الصَّالحِ، يَسْأَلُ عنْ سبيلِهِمْ، ويقتصُّ آثارَهُم، ويَتّبعُ سبيلَهُمْ، ليعوَّضَ أَجرًا عَظيمًا؛ فكذلكَ فكونُوا، إنْ شاءَ اللهُ"[1].

وإلَيْكَ مثلاً يوضِّحُ لكَ المقصودَ:

وهو ما جاءَ في "سنن الدّارمي" منْ أنَّ أبَا مُوسَى الأشْعرِيَّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- لمَّا كانَ في (الكُوفةِ) رأَى قومًا يسبِّحونَ بالحصَى! فأنكرَ ذلكَ!

وانطلقَ إلى عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- في صلاةِ الفجرِ، فوجدَ تلاميذَ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ عَلَى البابِ، قالَ: أَخَرَجَ إِلَيْكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ قُلْنَا: لَا، بَعْدُ.

فَجَلَسَ مَعَنَا حَتَّى خَرَجَ، فَلَمَّا خَرَجَ، قُمْنَا إِلَيْهِ جَمِيعًا، فَقَالَ لَهُ أَبُو مُوسَى: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ! إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ آنِفًا أَمْرًا أَنْكَرْتُهُ وَلَمْ أَرَ -وَالْحَمْدُ لِلهِ- إِلَّا خَيْرًا.

قَالَ: فَمَا هُوَ؟ فَقَالَ: إِنْ عِشْتَ فَسَتَرَاهُ.

قَالَ: رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ قَوْمًا حِلَقًا جُلُوسًا يَنْتَظِرُونَ الصَّلَاةَ فِي كُلِّ حَلْقَةٍ رَجُلٌ، وَفِي أَيْدِيهِمْ حصًى، فَيَقُولُ: كَبِّرُوا مِائَةً، فَيُكَبِّرُونَ مِائَةً، فَيَقُولُ: هَلِّلُوا مِائَةً، فَيُهَلِّلُونَ مِائَةً، وَيَقُولُ: سَبِّحُوا مِائَةً، فَيُسَبِّحُونَ مِائَةً، قَالَ: فَمَاذَا قُلْتَ لَهُمْ؟ قَالَ: مَا قُلْتُ لَهُمْ شَيْئًا انْتِظَارَ رَأْيِكَ أَوِ انْتظارَ أَمْرِكَ. قَالَ: (أَفَلَا أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَعُدُّوا سَيِّئَاتِهِمْ، وَضَمِنْتَ لَهُمْ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ)!

ثُمَّ مَضَى وَمَضَيْنَا مَعَهُ، حَتَّى أَتَى حَلْقَةً مِنْ تِلْكَ الْحِلَقِ، فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ:

(مَا هَذَا الّذي أَرَاكُمْ تَصْنَعُونَ؟)

قَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ حصًى نَعُدُّ بِهِ التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّسْبِيحَ.

قَالَ: (فَعُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ! فَأَنَا ضَامِنٌ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ! وَيْحَكُمْ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ! مَا أَسْرَعَ هَلَكَتَكُمْ! هَؤُلَاءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ مُتَوَافِرُونَ، وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبْلَ، وَآنِيَتُهُ لَمْ تُكْسَرْ!

[1] – انظرْ (البدع والنّهي عنها)، لابن وضّاح المالكيّ.

وَالّذي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّكُمْ لَعَلَى مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ مُفْتَتِحُو بَابِ ضَلَالَةٍ)! قَالُوا: وَاللهِ! يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، مَا أَرَدْنَا إِلَّا الْخَيْرَ!"

فهَا نحنُ نرَى في الرّوايةِ أنّهمْ كانُوا يذكرونَ اللهَ؛ ومع ذلكَ أنكرَ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ طريقتَهُمْ، وما غرَّهُ هذا الظَّاهرُ من الخيرِ؛ لأنَّهُ مخالفٌ لمَا كانَ عليْهِ النَّبيُّ عليْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ.

فعبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- لمْ يغترَّ بظاهرِ هذِهِ الحلقةِ في المسجدِ، وهمْ يذكرونَ اللهَ، ويسبِّحونَهُ، ويهلِّلونَهُ، ويحمدُونَهُ، فعندَما قالُوا لَهُ: "وَاللهِ! يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، مَا أَرَدْنَا إِلَّا الْخَيْرَ"، قالَ: قَالَ: (وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ! إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ حَدَّثَنَا أَنَّ: ((قَوْمًا يَقْرَؤونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ))! وَايْمُ اللهِ! مَا أَدْرِي لَعَلَّ أَكْثَرَهُمْ مِنْكُمْ)، ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ"[1].

وقالَ ابنُ عمرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- في (الخوارجِ):

"هؤلاءِ حمَلُوا الآياتِ الّتي نزلتْ في الكفَّارِ عَلَى المسلمينَ!".

فعملُ (الخوارجِ) بآياتِ في القرآنِ ولكنْ بفَهْمٍ يخالفُ فهْمَ الصَّحابةِ؛ أوقَعَهُمْ ذلكَ في (تكفيرِ المسلمينَ) و(سفكِ دمائِهِمْ)! وعملُ (الصّوفيّةِ) -أيضًا- بالآياتِ والأحاديثِ بفهْمِهِمُ المخالفِ لفَهْمِ الصّحْبِ الكرامِ؛ أوقعَهُمْ في الشِّرْكِ والبدَعِ!

(17)

أسئلةٌ موجّهةٌ إلى كلِّ مبتدعٍ!

وأخيرًا! هذِهِ أسئلةٌ تُوَجَّهُ إلى كلِّ من ابتدَعَ أمرًا يخالفُ ما كانَ عليْهِ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم، وأصحابُهُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ-:

هلِ النَّبيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ- بلَّغَ دينَ اللهِ كاملاً، أمْ لا؟

وهلْ هناكَ أمورٌ تقرِّبُ منَ اللهِ؛ لمْ يعلِّمْهَا النَّبيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ وسَلَّمَ- لأمّتِهِ؟

هلِ الصَّحابةُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- لمْ ينقلُوا لنا جميعَ ما علَّمهُمْ رسولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ-؟

وهلْ يوجدُ منْ هوَ أعلَمُ منَ الصَّحابةِ في فهْمِ القرآنِ والسُّنّة، وتطبيقِهِمَا؟

---

[1] - انظر الأثر كاملاً في باب: كراهية أخذ الرّأي.

وهلِ الصَّحابةُ طبَّقُوا الدِّينَ عمليًّا، أمْ لا؟

وهلْ هناكَ من هو أحرصُ من الصَّحابَةِ عَلَى ذلكَ؟

وهلْ هناكَ أمورٌ خَفِيَتْ عنِ الصَّحابَةِ، والتَّابعينَ، وأتباعِ التَّابعينَ، والأئمَّةِ الأربعةِ، وعلِمَهَا مَنْ جاءَ بعدَهُمْ؟

هلْ يجوزُ لأحدٍ أنْ يفسِّرَ القرآنَ، وأحاديثَ الرَّسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، بخلافِ تفسيرِ الصّحابَةِ لهَا؟

(18)

خاتمةٌ

ختمَ اللهُ لنا ولكمْ بخيرٍ...

قالَ تَعالَى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾[1]

فإذَا أردتَ رضوانَ اللهِ، وأنْ يرضَى اللهُ عنكَ؛ فما لكَ إلاَّ اتِّباعَ أصحابِ محمّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ، وسلوكِ سبيلِهِمْ؛ هكذَا قالَ اللهُ، وهوَ أصدقُ القائلينَ.

وكما قالَ النّاظمُ:

فَكُلُّ خيرٍ في اتِّباعِ منْ سَلَف　　　وكلُّ شرٍّ في اتِّباعِ منْ خَلَفْ[2]

فالْزَمْ غَرْزَ القومِ، وزِنْ عباداتِكَ وأفعالِكَ بما كانُوا عليْهِ؛ تربَحْ! واجعلْ بينَ عينيكَ قولَ منْ قالَ منهُمْ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–:

"كلُّ عبادةٍ لمْ يتعبَّدَهَا أصحابُ محمّدٍ؛ فلا تعبَّدُوهَا؛ فإنَّ الأوَّلَ لمْ يَتْرُكْ للآخِرِ مَقَالاً"؛ تنجُو!

فإنَّ الخطبَ جللٌ! والأمرُ عظيمٌ؛ ولكنَّهُ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عليْهِ؛ يسيرٌ!

ولا عاصمَ منْ أمرِ اللهِ إلاَّ مَنْ رَحِمَ!

وهذِهِ أبياتٌ (لابنِ القيّم) فيهَا توضيحٌ لمنْ قدْ يظُنُّ أنِّي بالغتُ في ذمِّهِمْ!

---

[1] – [التوبة: 100].

[2] – من منظومة "جوهرة التّوحيد"، لبرهان الدّين المالكيِّ.

فقدْ قالَ -رَحِمَهُ اللهُ- في "نونيّتِهِ":

يا مــنْ يـظُنُّ بأنَّنَـا حِـفْنَا عليْـ ـهِمْ كُتْبُهُمْ تُنْبِيكَ عَنْ ذا الشَّانِ
فانظُرْ تَرَى لكنْ نرَى لكَ تَـرْكَهَا حَـذَرًا عليـكَ مصَائدَ الشَّيْطَـانِ
فَشِبَاكُـهَـا واللهِ لَمْ يعْلَـقْ بِهَـا منْ ذِي جـناحٍ قَاصِرِ الطَّــيرانِ

إلى أنْ قالَ:

يـا قَوْمِ واللهِ العظيـمِ نصيحــةٌ مِنْ مشفـقٍ وأخٌ لكُـمْ مِعْـوانِ

فماذَا بعدَ الحقِّ إلاَّ الضّلالُ!

وسبْحانَك اللّهمَّ وبحمدِكَ، أشهدُ أنْ لا إلَهَ إلاَّ أنتَ، أستغفرُكَ وأتوبُ إِلَيْكَ
وصلّى اللهُ علَى سيِّدِنَا ونبيِّنَا محمَّدٍ وعلَى آلِهِ وصحْبِهِ أجمعينَ.

كتَبَهُ العبدُ الفقيرُ دائمًا وأبدًا إلى مَوْلاهُ:

أبو الحسين عليٌّ الرّجبانيّ، كانَ اللهُ لَهُ

في يوم: الخميسِ، الموافق **21** صفر **1434** من الهجرة

عَلَى صاحبِهَا أفضلُ الصَّلاةِ والتّسْليمِ.

♣♣♣